17 eme Année No. 827 | Lundi — 9 — 5 — 1949

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رجب سنة ١٣٦٨ — ٩ مايو سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

٣ـ أمم حــائرة

نحن والمدنية الأوربية

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض بجـدة

أعنى بكلامى هذا الأمة المصرية أولا ، وبتناول الـكلام الأمم الشابهة لهـا المتصلة بها من العرب والمسلمين بما تشابهت أحوالهم فيما ورثوا من حضارة قديمة ، وبما تقارب نظرهم إلى الحضارة الحديثة .

طلعت هذه الحضارة على الشرق مع قوم يعدّهم الشرقيون — ولا سيما العرب والمسلمون — أعداء ، سجّل التاريخ كثيراً من حروبهم ووقائعهم ، ولم يخلُ عصر من إغارتهم على المسلمين ، أو إغارة المسلمين عليهم ، منذ انتشر الإسلام فى غربى آسيا وشمالى أفريقية وفى جنوبى أوربا : أسبانيا وجزر البحر الأبيض ثم البلقان .

وظهرت هذه الحضارة والنزاع مستمر ، والمعارك دائرة ، ولم يغير أصحاب هذه الحضارة من خططهم ، ولا عدلوا عن سيرهم ، بل استعانوا بما أمدتهم به الحضارة الحديثة من علم وصناعة فى الغلبة والسيطرة على من عجزوا عن قهرهم وتذليلهم من قبل .

فلم يكن بد أن ينفر الشرقيون ، وبخاصة الدول الإسلامية ، إذ كانت مجاورة لأوربا ، وكانت صاحبة السلطان فى آسيا كلها ما عدا الصين ، وفى أفريقية — لم يكن بد أن ينفر هؤلاء من الحضارة التى طلعت عليهم بين الحديد والنار على أيدى أعدائهم القدماء ، وطلعت مشوبة بكثير مما يخالف عقائدهم وآدابهم وسننهم .

وسرعان ما أيقن المدافعون عن أنفسهم من أهل الشرق أنهم مغلوبون لا محالة إن لم يدفعوا هؤلاء الأعداء الأشداء ، بمثل سلاحهم ، ويلقَوهم بمثل عددهم ، ويكيدوهم بمثل خططهم وتدبيرهم . فلم يجدوا مناصاً من أن يأخذوا من أوربا حضارتها الصناعية على قدر الطاقة وعلى قدر ضرورات الدفاع .

لم تكن هذه الحضارة موضع تردد ، إذ دعت إليها ضرورة الدفاع عن الأنفس والأوطان ، ولم تكن موضع ريبة لأنها قائمة على قوانين طبيعية لا تختلف فى الشرق والغرب ، ولا تلائم أمة دون أمة ، ولا تتصل بتاريخ دون آخر ، وهى لا صلة لها بالدين والأخلاق والآداب والعادات والعرف والطباع ونحوها .

أخذ المسلمون الحضارة الصناعية على قدر ما مكّنهم علمهم وخبرتهم وأحوالهم ، وعلى قدر ما يسرت لهم أوربا الأخذ . أخذوا نتائج هذه الحضارة الصناعية ، وحاولوا أن يأخذوا ما تعتمد عليه من علوم وفنون .

ثم أخذوا كذلك ما لم يجدوا مناصاً من المسارعة إليه من نظم للجيوش ، ونظم للدولة ، ونظم للادارة .

ثم زاد اتصال الغرب والشرق بالاقتباس والاقتداء ، ثم بغلبة الغربيين على كثير من الأقطار وإقامتهم فيها واختلاطهم بأهلها . وأخذت هذه الحضارة أمم الشرق بالرغبة والرهبة ، وبالسطوة

والزينة ، فسايروها راضين وكارهين ، وعارفين ومنكرين ، وافتتن كثير من الناس فرأوا كل ما أتى من أوربا حسناً ، وكل ما ورثه الشرق من تاريخه قبيحاً . وزادت هذه الحضارة إغراء بما ازينت به من مناظر ، وما اتصلت به من لذة ولعب ولهو ، فلم يقو على معارضتها والصبر على فتنتها إلا قليل .

واشتبهت الأمور ، وانبهمت السبل ، والتبست الأشياء ، فلم يفرق الناس بين طيب وخبيث ، ونافع وضار ، ومعروف ومنكر . هذه الفتن التي تدع الحليم حيران ، فكيف بالجهلاء والعامة في هذا السيل الجارف والطوفان الطام ؟

ولم يفرّق الناس في هذه الفتنة العمياء ، وهذه المحنة الصماء ، بين الحضارة الصناعية والحضارة الأخلاقية ، ولم يميزوا بين ما يلائم وما لا يلائم ، فقاسوا الأخلاق والآداب وسنن الجماعات وروابط الأسر ، وقاسوا العقائد والمذاهب ، على السيارات والطائرات والغواصات والمدمرات ، وعلى البرق والهاتف والمذياع ، وفتنوا بالمسرح والسينما والمرقص ، وبالتزين والتبرج والتعرى . واختلط الحابل بالنابل ، وضاع الحق في هذه الضوضاء ، وضلت المروءة في هذه السوق ، ونادى العقلاء فلم يسمع لهم ، وقال الحكماء فلم يبالَ بقولهم ، وغُلِب الناس على أمرهم حتى اختلف القول والعمل ، فترى الإنسان ينكر الشيء ويفعله سيراً مع الدهماء ، ويخالفه اعتقاداً ورأياً وقولا ويخضع له في داره بين أهله وأولاده . وبلغت الفتنة أن قال بعض الكبراء ، وأنا أحاوره في الطريقة المثلى : « إن الطريقة المثلى هي الواقع » .

وقد أنكرنا أنفسنا وحقرنا ما عندنا وأعظمنا ما عند غيرنا وأخذتنا الرهبة والروعة من كل جانب ؛ وكم زرينا على أشياء ورثناها وعرفناها ، حتى أخذها أهل أوربا وأعجبوا بها فنقلناها عنهم ، ورضينا بها إذ رجعت إلينا من بلادهم ، كما هجرنا الهندسة العربية في الأثاث وغيره ، ثم حكيناهم في الإعجاب بها فاتخذناها بعد أن سميناها « أرابسكا » .

وكما أعرضنا عن سباق الخيل وضروب الفروسية والرياضة التي كانت لنا ، ثم عكفنا على قمار في سباق يربّى خيلا ولا ينشّىء فرسانا ... وأمثال هذين كثير .

والإنسان في هذا الضعف والخوف لا يصح له رأى ، ولا تستقيم له طريقة . وكيف يصح الرأى إن لم يعتد الإنسان بنفسه ، ويثق بعقله . ويعرف أن له كيانا واستقلالا ، وأن له الحق أن يأخذ ويرد ، ويستحسن ويستنكر ؟

إن الحياة التي لا تشعر بنفسها ، ولا تستمد قواها ، ولا تستعين بمواهبها ، لأشبه بالموت ، لها صور الحياة ، وليس فيها حقائقها ...

عظمت حيرتنا في التقليد على غير هدى ، وقلقنا من المحاكاة على غير بينة ، وضعفنا في هذا الاستسلام ، والذهاب مع التيار ، والتعلل بحكم الزمان وسنة العصر ، وما حكم الزمان وسنة العصر إلا تعِلّة العاجزين ، وعذر المفلسين ، وإنما الإنسان الحق الذى يسير الزمان ، ويخلق سنة العصر ، ويرد الحادثات عن مجراها ، ويسيرها على الطريقة التي يرضاها .

فلما ألفينا أفكارنا وحقرنا مذاهبنا ، والطرق أمامنا مختلفة ، والمذاهب ملتبسة ، نزع كل منا منزعاً ، وذهب على ما تخيل مذهباً ، فكان اختلاف الآراء في الجماعة ، وتناكر المذاهب فيها ، وكانت هذه الحيرة ، وهذا القلق ، وهذا الاضطراب .

ليتنا حين أخذنا عن غيرنا أخذنا الجليل والحقير ، وحاكينا في الجد والهزل ! وكم في الغربيين من قدوة صالحة ، وأسوة نافعة ، وخطة حميدة . ولكن عظائم الأعمال لها وسائل من الكد والدأب واحتمال المشاق والصبر عليها . والمجد مصاعد شاقة ، وتكاليف مرهقة . وسفساف الأعمال هينة قريبة لذيذة يستطيعها كل من شاءها ، ويهبط إليها من لم يكلف نفسه الصعود . فقد أسرعنا في هزل الغربيين ولهوهم ومظاهرهم ، وشق علينا أن نضطلع بكثير مما اضطلعوا به وعملوا له ، في نظام محكم وخطة شاقة ، ودأب لا يكل .

لسنا جاهلين بمحاسن الحضارة الحديثة وفضائلها ومزاياها ، ولا غافلين عن لذاتها ومتعها ؛ ولكنا لا نجهل كذلك رذائلها وعيوبها ، ولا نغفل عما وراء لذاتها من مهالك للأمم ومفاسد للجماعات . ما أيسر أن يُعفِيَ الإنسان نفسه من الإصلاح ، وينحاز مع الغُواة ، ويستمتع مع المستمتعين ، ولسنا عن هذا عاجزين ، ولكن الأمانة التي في أعناقنا للأمة ، والواجب الذى علينا لها ، والبصر بما وراء الظاهر ، وإدراك ما بعد الحاضر ، كل أولئك يعنّي الفكر ، ويقلقه ويسلط عليه هموماً لا تنام ولا تُنيم . فيُلزم نفسه الدعوة إلى الإصلاح ، والأخذ بالأشق ، وحرمان نفسه من كل ما يأباه الوجدان اليقظ ، والعقل الصحيح .

(للكلام صلة) عبد الوهاب عزام

إلى الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ سيد قطب

١

صديقي الكبير الأستاذ توفيق الحكيم .

شكراً لك على هديتك الكريمة : كتابك الجديد « الملك أوديب » . إنها شيء عزيز ثمين بالقياس إلى ما هنا في تلك « الورشة » الضخمة السخيفة ، التي يسمونها : « العالم الجديد » !

لقد استروحت في كلمة الإهداء : « ممن يذكرك دائماً » نسمة رخية من روح الشرق الأليف — فالذكرى هي خلاصة هذه الروح — وما كان أحوجني هنا إلى تلك النسمة الرخية ...

إن شيئاً واحداً ينقص هؤلاء الأمريكيين — على حين تذخر أمريكا بكل شيء — شيء واحد لا قيمة له عندهم ... الروح !

بحث يقدم للدكتوراه في إحدى جامعاتهم — وقد قدم فعلا — عن : « أفضل الطرق لغسل الأطباق » أحب إليهم ألف مرة وأهم من رسالة عن « الأنجيل » ، إن لم يكن أهم من ذات الإنجيل !

أمامي وأنا أكتب إليك هذه الكلمات في مطعم ، شاب أمريكي يثب على صدره « سبع » ويجثم على ظهره « فيل » ! لا تُرعْ ! فذلك السبع إنما هو رسم يملأ فراغ رباط عنقه ، وهذا الفيل إنما هو رسم كذلك يملأ فراغ صدريته ! لقد رسم السبع باللون البرتقالي الفاقع على أرضية « أخضر زرعي » ، ورسم الفيل باللون الكحلي على أرضية « كرنبي » ، وهذا السبع مع رباط الرقبة مدلى فوق الصدرية لا تحتها حسب مزاج « التقاليع » !

هذا هو الذوق الأمريكي الغالب في الألوان !

والموسيقى ... ولكن مالي وهذا كله ؟ إن ذلك حديث آخر ليس وقته الآن .

أردت فقط أن أقول لك : كيف كانت هديتك لي في « العالم الجديد » !

***

أشعر بأني أرد لك بعض جميلك حين أحدثك بصراحة كاملة عن عملك الفني الجديد ، مؤثراً هذه الطريقة على كتابة مقالة نقد . ليست بي الآن أقل رغبة لكتابة مقالات ، وليس لدي الوقت أيضاً ؛ إنما يشجعني على الكتابة اللحظة أنني أستحضر شخصك في خيالي ، وأبادلك حديثاً بحديث ، ليس فيه كلفة التحضير ، ولا تعمل الفكرة ، ولا اصطناع الأسلوب ... ما أحوجني هنا لن أبادله حديثاً بحديث ، في غير موضوع الدولارات ونجوم السينما وماركات السيارات ... حديثاً في شؤون الإنسان والفكر والروح !

***

دعني أحدثك أولا عن « المقدمة » فهي تكوّن مع « مقدمة الترجمة الفرنسية » و « التعقيب على المقدمة الفرنسية » مبحثاً خاصاً له قيمة ذاتية في موضوعه . ثم إن الحديث عنه قد يكون في ذاته حديثاً عن تمثيليتك الجديدة .

والنسر معاً خطوة فخطوة في بحثك الممتع الطويل ...

مالي أحس — أيها الصديق الكريم — كأنك خائف قلق من ذاكرة التاريخ ؟ ذلك الخوف وهذا القلق اللذان يدفعانك دفعاً إلى تسجيل دورك بقلمك في خط سير التمثيلية العربية ؟

أحب أن أطمئنك منذ اليوم على أن التاريخ الأدبي لن ينسى لك دورك الأساسي الذي قمت به في وضع « القالب الفني » للمرة الأولى في تاريخ الأدب العربي للرواية التمثيلية ... وصنعه على أساس فني صحيح . وإلا فإن محاولات كثيرة قد سبقتك لوضع هذا القالب (أشرت أنت إليها إشارة سريعة في مقدمتك ، وسيتناولها تاريخ النقد بالتفصيل والتطويل) إلى أن جئت أنت فوفقت نهائياً لتكوين قالب فني للحوار يحمل « فكرة » تدخله في باب الأدب ، وينهج نهجاً لم يلحقك فيه إلى اليوم أحد ، ولست أدري متى يظهر التالي لك ، أو المتفوق عليك ، فيه ؟

***

هذا دورك الذي لن ينسى . دور في « تاريخ التطور الفني » . أما نصيبك الذي سيبقى في باب « القيم الفنية المطلقة » فأخشى أن أقول : إنك لم تقم به بعد ، لأنك — في باب التمثيليات — لم تهتد بعد إلى النبع الأصيل الذي تستقي منه روحك العميقة لا فكرك الواعي ، فتنشيء عملاً خالداً فيه حياة وروح

لقد اهتديت أحياناً إلى النبع — ولكن في باب غير باب التمثيلية — في : « نائب في الأرياف » وفي « عودة الروح » وفي لمحات متفرقة في «زهرة العمر» وبعض كتبك الأخرى . أما في باب التمثيلية ، فلم يكن لك — غير القالب الفني — شيء يبقى ، اللهم إلا خفقات شائعة مخنوقة في ركام أجنبي غريب !

معذرة يا صديقي ، فذلك وجه الحق فيما أرى . وستعلم بعد قليل لماذا أرى . أما الآن فأحب أن أسجل حقيقة أخرى ...

إن دورك هذا الذي حققته إلى اليوم فعلا ، ليس صغيراً ولا قليل الأهمية . فهو دور حاسم في تاريخ هذا الفصل من كتاب الأدب العربي . إنه القنطرة التي لم يكن منها بد ، ليعبر عليها الفنان الأصيل الموهوب فيما بعد . وقد تكون أنت نفسك ذلك الفنان الأصيل الموهوب في عمل فني جديد ، حينما تهتدي إلى النبع الأصيل المخنوق في نفسك تحت ركام من الثقافة الغربية الطاغية .

إنني لا أعيب الثقافة — فهي أمر لا بد منه اليوم لتكوين الأديب — ولكن الذي أعنيه أنك أيها الصديق — شأنك في هذا شأن ذلك الجيل كله من الشيوخ — تستلهم ثقافتك الفنية الغربية ، قبل أن تجد ذاتك الأصيلة .

من هنا يفقد فنك — كما تفقد أعمالهم جميعاً — ذلك الطعم الخاص الذي يتذوقه القارىء في آداب كل أمة ، والذي يميزه عن آداب الأمم الأخرى .

إنكم لا تجدون أنفسكم في خضم ثقافتكم . إنكم تمتحون من رؤوسكم أكثر مما تستوحون قلوبكم . وهذا هو العنصر الخطر عليكم جميعاً .

إنك تهتدي إلى النبع في مقدمتك ، ولكن بذهنك الواعي ، لا بشعورك الغامض . لهذا يخطئك التوفيق عند التطبيق .

تقول :

« ما من شيء أقوى من الميراث ! ... إذا كان للخلود يد فإن الميراث يده التي ينقل بها الكائنات من زمان إلى زمان ... ما طبائع الأفراد وخصائص الشعوب ومقومات الأمم ، إلا ميراث صفات وسمات ، تنحدر من جيل إلى جيل . وإن ما يسمونه العراقة في شعب ليس إلا فضائله المتوارثة من أعماق الحقب . وإن الأصالة في الأشياء والأحياء هي ذلك الاحتفاظ المتصل بالمزايا الموروثة كابراً عن كابر ، وحلقة بعد حلقة .. هكذا يقال في شعب أو رجل أو جواد . وكذلك يقال في فن أو علم أو أدب ... » .

كلام صادق مبين عميق جميل ... ولكنك تعرفه بوعيك يا صديقي ، ولا يكمن مهما فعالاً دون أن تدري ، في اتجاهاتك الفنية وأعمالك ...

لقد اتجهت وأنت تحاول وضع القالب الفني للتمثيلية المصرية إلى الأساطير الإغريقية تستلهمها موضوعاتك ... لماذا لأن نشأة المسرح كانت إغريقية ، ولأن الأوربيين — وهم ورثة الإغريق — قد جعلوا المسرح الإغريقي والتمثيلية الإغريقية والأساطير الإغريقية أساساً لأعمالهم !

ولكنك أنت يا سيدي لست من ورثة الإغريق . لا أنت ولا شعبك الذي تعيش فيه . قد تكون من ورثتهم بثقافتك وقراءاتك ولكن هذه قشرة رقيقة لا تنشىء فناً خالداً أصيلا .

« ما من شيء أقوى من الميراث . إذا كان للخلود يد فإن الميراث يده التي ينقل بها الكائنات » ، كما تقول !

إنك في حاجة لأن تستلهم وراثاتك الأصيلة المتغلغلة في ضميرك آلاف السنين ومئات الأحقاب ، لا أن تستلهم ثقافتك الطارئة في عمرك الفردي المحدود .

هنالك النبع يا صديقي لو شئت لأعمالك الخلود !

***

لقد تساءلت . لماذا لم ينقل العرب ، فيما نقلوا عن الإغريق ، التراجيديا الإغريقية ؟ وكان من بين التعليلات التي ذكرتها — وإن لم ترضها — « صعوبة الفهم لذلك القصص الشعري ، وكله يدور حول أساطير لا سبيل إلى فهمها إلا بشرح طويل ، يذهب بلذة التتبع لها ، ويقضي على متعة الراغب في تذوقها » .

لقد كدت تضع يدك على السر ، ولكنك تركته مسرعاً لتقول :

« لكن على الرغم من وجاهة هذا التعليل ، فإني لا أعتقد أن هذا أيضاً يحول دون نقل بعض آثار هذا الفن . فإن كتاب الجمهورية لأفلاطون قد ترجم إلى العربية . وما أشك أن فيه من الأفكار حول تلك المدينة المثالية ما يشق على العقلية الإسلامية أن تسيغه . ولكن ذلك لم يمنع من نقله ... بل إن هذه الصعوبة

بالذات قد دفعت الفارابى إلى أن يتناول جمهورية أفلاطون ، فيضفى عليها ثوباً جديداً من خواطره ، ويصبها فى قالب عقليته الفلسفية الإسلامية » .

وهكذا نبعد نهائياً عن الشعر وكان منك على لسة إصبع !

إن الفارق بين كتاب الجمهورية والتراجيديا الإغريقية لبعيد .

... إن الجمهورية موضوع يحتاج إلى (فهم) والتراجيديا موضوع يحتاج الى (شعور) . وهذه هى العقدة فى قضية العرب والفن الإغريقى ؛ ثم فى قضيتك أنت بالذات يا صديقى العزيز .

إن الصعوبة الأساسية فى الأساطير واستلهامها ليست فى الحاجة إلى (الفهم) فالفهم قد يكون ممكناً بالشرح على نحو من الأنحاء . ولكن الصعوبة الحقيقية كامنة فى الشعور بها فى أعماق الضمير . إن الأسطورة تنبع من ضمير الشعب لا من رأسه ؛ وتعيش كامنة فى دمه وأحاسيسه . هى « ميراث » شخصى لكل شعب ، لا يمكن نقله إلى ضمائر الشعوب الأخرى ، كما يمكن نقل الثقافات إلى الرؤوس ، بل كما يمكن أحياناً نقل الأعمال الأدبية التى لا تقوم على أسس وراثية كالأساطير .

لا بد أن تعيش الأسطورة حياتها فى تاريخ الأمة وضميرها ، حتى يستسيغها ذوقها ، وتنبض لها قلوبها .

لهذا لم يكن ممكناً أن يشعر العرب بجمال التراجيديا الإغريقية المستمدة فى صميمها من هذه الأساطير ، ولا أن تنتقل إلى تراثهم كما انتقلت الفلسفة ، لأن الفلسفة تراث ذهنى فى الأغلب ، والأسطورة تراث شعورى فى الصميم .

هذه هى المشكلة . أما ما قلته من أن السبب الأساسى هو شعور العرب بحاجتهم إلى الفلسفة وإلى المهارة ، وعدم شعورهم بالحاجة إلى الشعر . فهو نفسه يحتاج إلى تعليل ! لماذا لم يشعروا بحاجتهم إلى الشعر ؟ لأن شعرهم كان فيه الكفاية للتعبير الكامل عن حياتهم الشعورية الأصيلة ؛ ولأن الشعر الإغريقى لم تعش أساطيره فى ضميرهم ، ولم تندس فى كيانهم لتصبح شيئاً غامضاً نائماً كما كانت فى كيان الإغريق !

***

هنا نجىء لمشكلتك أنت بالذات . بل لمشكلة جميع الذين يجعلون الأساطير الإغريقية أساساً لأعمالهم الفنية ، ولو كانوا من الأوربيين المحدثين — على أنهم ورثة هؤلاء الإغريق — !

إن الأسطورة لا تعيش فى دمائكم — وفى دمك أنت المصرى بوجه خاص . إنها لم تنبع من ضمير شعبك . إنها لم تصاحب تاريخك . فكيف تنشىء منها أدباً له حياة ؟

قد تقول : إنك تحسن عملك الفنى على أساس يتفق مع طبيعة الأسطورة ؛ بل مع طبيعة التراجيديا الإغريقية ، وقد قلت ذلك . قلت : إن الشعور الدينى هو أساس التراجيديا ، وأن هذا الشعور عميق فى حسك . فأنت تشعر بازدواج العالم ولا ترى أن الإنسان وحده فى هذا الوجود .

ولكن هذا كلام عام . ألمح فيه تفكير الذهن ولا أتذوق فيه طعم الشعور .

إن الميثولوجيا الإغريقية مختلفة فى طبيعتها عن التعميين الأصيلين لك كمصرى مسلم . فلا هى تتفق مع طبيعة الميثولوجيا المصرية القديمة ولا مع العقيدة الإسلامية الحديثة .

الآلهة فى الميثولوجيا الإغريقية تدفعها حيوية عارمة إلى كل تصرفاتها . حيوية لا تعرف العدل والحق والخلق والضمير ، لأنها حيوية عاتية شهوانية باطشة . فليس لديها ما يمنع من صب كل هذه اللعنة على « أوديب » لمجرد شهوة أو حقد من « أبولون » . كذلك صنعت مع « هرقل » وكذلك صنعت مع « بروميثيوس » وغيرهما . وجو الأساطير الإغريقية كلها يوحى بهذا الطابع الخاص الأصيل . . وهذه الآلهة نفسها يسيطر عليها « القدر » أو قوة تشبهه ، وقد لا تكون مخيرة هى الأخرى فى دفعاتها وشهواتها وبطشاتها !

والآلهة فى الميثولوجيا المصرية القديمة تسيطر عليها فكرة العدل والخلق والحق — فى الغالب — فلعنة مثل لعنة « أوديب » غير مستساغة فى ضمير الميثولوجيا المصرية القديمة .

فأنت — يا صديق — بضميرك المصرى القديم لا تعيش فى نفسك هذه الأسطورة الإغريقية !

وأما الإسلام فينبذ نهائياً فكرة الشهوة والظلم عن ذات الله . وقد بينت أنت نفسك أن فكرة القدر فى الإسلام لا تتفق مع الفكرة الإغريقية .

فأنت — يا صديق — بضميرك الإسلامى الحديث ، لا تعيش فى نفسك هذه الأسطورة الإغريقية !

منارة الماضي :

الاســـــكندرية في عصورها الاسلامية

للأستاذ أحمد رمزي

قال ياقوت الحموي : « لو استقصينا في أخبار الاسكندرية جميع ما بلغنا لجاء في غير مجلد »

قدم إلى في الأسبوع الماضي ، حضرة رئيس مكتب السجل التجاري بمدينة الاسكندرية[1] ، نسخة من كتاب طبعته الغرفة التجارية المصرية وعنوانه « الاسكندرية » من وضع لجنة المدينة التي أشرفت على تنسيق قسم خاص للثغر في شارع وادي النيل بالمعرض الزراعي الصناعي السادس عشر .

ولما تصفحت مقدمة الكتاب ، قرأت نبذة تاريخية ألفها أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة فاروق ، ما انتهيت منها حتى أكبرت همتهم ، وشعرت بعظمة الإنتاج الذي تخلقه البيئات العلمية ، تلك البيئات التي تعيش وتحيا حيث توجد الجامعات .

وكان تفاؤلي في محله لأني قرأت في الأقسام التي أفردت لتاريخ الاسكندرية الإسلامي ، كلمات تعبر عن شعور النفس العربية المسلمة حينما يتعلق الأمر بتاريخنا المهضوم الحق . انظر إلى كلمة الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة واستفتاحه : « ما فقدت الاسكندرية في العصر الإسلامي شيئاً إلا استعادت به غيره » . واسمع قوله : « لم تلبث المدينة أن تعربت ، ودليل ذلك أننا لا نجد إلا عصبيات عربية في فتنة الأندلس سنة ١٨٣ هـ » فهذا كلام لم نسمعه من قبل : فيه حيوية وإخلاص .

ثم اطلعت على بحث الدكتور جمال الدين الشيال وعرضه للعصرين الأيوبي والمملوكي ، فأعجبني حين أعطى لصلاح الدين حقه ، وكلنا يعرف ما هي علاقة هـــذا العاهل العظيم بمدينة الاسكندرية[1] . وكم كان موفقاً في حديثه عن تاريخ المدينة حينما أفاض عليها حلة شائقة من التحقيق العلمي وحين توج كل ذلك بذكره لزيارات الملك الظاهر بيبرس واهتمامه بأمورها .

كان هذا في نظري بمثابة فتح جديد في تاريخ مدننا المصرية

(١) مكتب السجل التجاري تابع لإدارة السجل التجاري من فروع مصلحة التشريع التجاري الملكية الصناعية

(١) من الغريب ألا نجد ميداناً أو شارعاً يحمل اسم صلاح الدين وهو الذي دافع عن الاسكندرية

وقد يعن لك أن تقول كما قلت فعلا : إنك عالجت الأسطورة من جانب آخر جديد . جانبها الإنساني العام . ففي « أوديب » مثلا جعلت « الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها . طبيعته المحبة للبحث في أصول الأشياء المعمنة في الجري خلف الحقيقة » .

ولكن الأسطورة هي الأسطورة . فلعنة الآلهة هي التي خلقت جوها وحوادثها .

لقد عاشت تراجيديا سوفوكل ، لأنها نبعت من حرارة وجدانه بالأسطورة الحية في ضميره وضمير شعبه . أما عملك أنت وعمل الآخرين من المعاصرين الذين لا يؤمنون بالأسطورة إيمان سوفوكل . فلن تكتب له الحياة إلا بمقدار ما في نفس كل منكم من إيمان حار بأسطورة « أوديب » ، وبمقدار ما عاشت هذه الأسطورة في ضمير شعبه وضميره من الحقب والسنين ، وبمقدار تناسق هذه الأسطورة مع الحياة الشعورية له ولشعبه بوجه عام .

ولا تؤمن بما يقوله الدكتور طه — مساه الله بالخير — ويردده من أن مصر إغريقية التفكير ، لأن مدرسة الاسكندرية القائمة على أساس الفلسفة الإغريقية تركت آثاراً عميقة لا تمحى ! لا تؤمن بهذا فإنما هذه هي فتنة الدكتور الكبرى بالإغريق !

قد يكون ذلك صحيحاً في الفلسفة ؛ في منطقة من مناطق الفكر المصري لا في سائر مناطقه . أما المنطقة الشعورية فلم تمسها تلك الفلسفة . فضمائر الشعوب لا علاقة لها بالفلسفة . والأساطير تنبع من هذه الضمائر الحية لا من الأذهان الجرداء !

والفنون لا تكتب لها الحياة إلا حين تمتح من هذه الضمائر المكنونة ، حين تتصل بالنبع العميق الساري وراء الأذهان والأفكار ...

ما من عمل واحد يخلد إلا إذا فاض من الشعور .

(حلوان) سيد قطب

إذ ما رأيت كتاباً أو دليلا تعرض لتعريف مدينة الاسكندرية إلا ومرّ على عهدها العربي والإسلامي مروراً بسيطاً لا يشفى الغليل كأن عهد الإسلام والعروبة كان عهداً غريباً عن مصر وأهلها !! فكل من كتب عن تاريخ الاسكندرية من كتاب الفرنجة وغيرهم ولى العهدين الروماني واليوناني جُلّ اهتمامه ، ويبرزهما بروزاً ساطعاً ، بل منهم فريق يسرف في القول ويغالط في الحقائق حتى إذا جاء لعهدنا قال : « إن المدينة فقدت أهميتها وعمرانها وأصبحت خراباً بلقعاً » . فكأنه يقول في مواجهتنا : لدى هؤلاء القدماء المدنية والحضارة ، ولدينا الجهل والخراب . ! لديهم كل ما يحبب ولدينا كل ما ينفر ! . أليس في هذا دعوة إلى إنكار شخصيتنا وإلى الفناء في الغير فناء لا نرضاه لأنفسنا ولا لأحفادنا ولا لنهضتنا القومية ؟!

***

كنت منذ سنة أعمل على رأس مصلحة السياحة المصرية ، وكان من ضمن عملي الاطلاع على بعض الكتب والنشرات التي تتكلم عن الاسكندرية وعرضت على مجموعة من هذه منها القديم والحديث ، وكان من بينها كتاب لعالم غربي أريد إعادة طبعه على نفقة الحكومة المصرية ، ولما قرأته دهشت من كثرة ما حواه من الأخطاء عن تاريخنا القومي ، فحاولت جهدي أن أرد الحق لنصابه وأرفع بعض الإبهام وأعطى صورة واضحة عن تاريخ المسلمين وأثرهم ، وكنت أؤمل ومنذ من جمهرة المثقفين في مصر ومن أهل المدينة أن يقوموا بواجبهم في سد هذه الثغرة التي تضعف من إيماننا في أنفسنا ، وتقلل من أمجادنا ، وتجعلنا في النهاية غرباء عن تاريخنا .

كل هذا دفعني إلى الإلمام إلماماً تمهيدياً لما كانت عليه عظمة هذه المدينة . فخرجت بأشياء تجعلني أسلم بما جاء به ياقوت الحموي في معجم البلدان من أن ما وصله عنها يستحق أكثر من كتاب واحد . ونحن أمام تاريخ الإسلام في الاسكندرية نقرر أنه في حاجة إلى عدد من المجلدات المضخمة .

***

وإليكم أول ما تبادر إلى ذهني في تلك الأيام ، أنقله كما هو ، قلت : « الذي أعرفه وأشعر به من أهل الاسكندرية حين أزور مدينتهم ، هو أنهم أهل رباط ونجدة ، نرى في وجوههم أن أصولهم وفروعهم تنحدر من صميم القبائل العربية التي رابطت في هذا الثغر الإسلامي ؛ فيهم نخوة وشدة وحماس ودفعة وإقدام على المخاطر . وتلك صفات انفرد بها أهل الثاغرة والمرابطة في أنحاء العالم الإسلامي من أهل الثغور والعواصم الذين كتبوا بدمائهم ملاحم الحروب ، فهم إذن من سلالة أولئك الذين فتح الله على أيديهم هذا الثغر وأبناء الأبطال الذين صدوا وهزموا كل من حاول الاعتداء على أراضي مصر الإسلامية طول مدة العصور الطويلة الماضية التي نعمت فيها البلاد بنعمة الاستقلال الصحيح والعزة والكرامة » . وأراني اليوم أكثر تمسكا بهذا الرأي مما كنت.

رجعت إلى ما كتبته أيام السياحة ؛ لأني أعجبت بالقسم التاريخي من كتاب الغرفة التجارية ، فعدت إلى أوراق الماضي أقلبها ، ثم حمدت الله أن تنبهت الغرفة لهذا التاريخ الإسلامي ، وسلمت أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب هذه الأمانة ، فأدوها وهذه لفتة جديدة لم تعرفها المدينة قبل اليوم .

ولكن مثلي يطمع في الكثير من هذا ؛ يطمع أن تعرض عليه حوادث التاريخ الحي ، وأن يتغنى بمواقف أهل المدينة ، وينادم آثارها الإسلامية ؛ ويشمخ بأدبها العربي وروحها الوثابة وبما خلفته وتركته لنا تلك العصور العزيزة علينا ، وهذا عمل عظيم ، أؤمل أن يتولاه الأدباء والعلماء والمؤرخون وأهل الآثار ورجال الدين والقضاة وكل محب للاسلام والعروبة .

***

فهذه مدينة أصبحت أكبر منازل الرباط في مصر منذ أتم الله فتحها على يد منقذ مصر الأكبر « عمرو بن العاص » ، فبرزت بروزاً في تاريخنا لا يمكن إنكاره ولا الإقلال من أهميته رغم الطعنات التي يوجهها الغير إلينا وتحديهم لنا .

إن أيام الفتح توحي بالكثير من المواقف وقد أوحت بالفعل شيئاً من ذلك: أنني لا أزال أذكر ما نقل عن عمر وهو يحدثنا قائلا : « ثلاث قبائل من مصر ؛ أما مهرة : فقوم يَقتلون ولا يُقتلون ، أما غافق : فقوم يقتلون ويقتلون ، وأما بلي : فأكثرها رجلا صحب النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارساً » . قال هذا عندما نزل بعض هذه القبائل في الاسكندرية إبان القتال الدائر حول أسوارها

عند ما حمل الروم على العرب فقتلوا لأول مرة رجلا من مهرة — ولم يكن قد قتل أحد منهم قبل ذلك اليوم — واحتزوا رأسه وحملوها . وقالوا : « لن ندفعها حتى نأتي برأسه » . فقال لهم عمرو : « كأنكم تغضبون على من يبالي بغضبكم . احملوا على القوم واقتلوا منهم ثم ارموا برأس قتيل منهم يرموكم برأس صاحبكم » فخرجت الروم واقتتلوا . فقتل من الروم رجل من بطارقتهم ، فاحتزوا رأسه ورموا به الروم ، فألقت الروم برأس المهرى إليهم . فقال : « دونكم الآن ، فادفنوا صاحبكم » . وقد تكون هذه القصة واقعية أو من عمل الرواة بقصد الدعوة إلى الحماس ، وهذا لا يهمنا بقدر أنها تعرفنا من كان على أبواب الاسكندرية يقاتل . وهؤلاء هم أصحاب المدينة . إذ أجمع المؤرخون على أنهم عند الفتح كانوا من خلاصة القبائل العربية التي استوطنتها بعد جلاء الروم عنها . قال المقريزي : « إن لخماً كانت أعز من في ناحية الاسكندرية وأطرافها »[1] . وهي قبيلة امتدت فروعها وبطونها في صميم مصر ولا يزال أبناؤها في إقليمي البحيرة والشرقية ، ولها المواقف التاريخية في كل حادث من حوادث التاريخ . وليس من السهل إنكار التاريخ والخروج على الأصول والأنساب .

وللاسكندرية مواقف ومعارك وأحداث يحدث التاريخ عنها وأهلها أحق من غيرهم بآثارها والتفاخر بها ، ولم يكن سكانها في تلك العصور ممن تلين قناتهم . أولا يعتد الخصوم بهم فيصفونهم بالأصفار المتراصة ، وإنما كانت سيوفهم مرهفة ، ورماحهم للجهاد قائمة ، وكانت لهم في البحر جولات ، طالما أدخلت الرعب والخوف في نفوس الروم والفرنجة ومن معهم . نعم ؛ جاءتهم قبائل عربية من المغرب ومن الأندلس ، أنزلوها حيناً باختيارهم ، وحيناً بعد حروب دامية . ومن نزل منهم رحبوا به ، ومن لم ينزل على حكمهم أرجعوه على سفنه وبعثوا به إلى البحر ثانية ؛ فهم مرابطون بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان .

نقل الكندي في فضائل مصر ما قاله سفيان بن عيينة لأحمد ابن صالح : « يامصري ، أين تسكن ؟ » قلت : « أسكن الفسطاط قال : « اتأتي الاسكندرية ؟ » قلت : « نعم » قال سفيان : « تلك كنانة الله يحمل فيها خير سهامه »[1]

ونقل السيوطي في كتابه : أنه نُعي إلى عبد الله بن مرزوق الصيرفي ، ابن عم له اسمه خالد بن يزيد ، وكانت وفاته بالثغر الاسكندري ، فلقيه ثلاثة هم : موسى بن رباح وعبد الله بن لهيعة والليث بن سعد ، منصرفين وكل منهم يقول : « ألم تكن ميتته بالاسكندرية ؟ » إذن هو حي عند الله يرزق ويجري عليه أجر رباطه ما قامت الدنيا ، وله أجر شهيد حتى يحشر على ذلك » .

(البقية في العدد القادم)

أحمد رمزي

(١) وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون « الصوفية » يأمرون بالمعروف فترأس عليهم رجل منهم يقال له « أبو عبد الرحمن الصوفي » فصاروا مع الأندلسيين يداً واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لخم أعز في ناحية الاسكندرية (خطط المقريزي ص ٢٧٩ الجزء الأول).

(١) خطط المقريزي ص ٢٦٢ الجزء الأول .

حكيم فيلسوف يتكلم ...

للأستاذ راجي الراعي

مشى كعادته في كل صباح إلى ساحة المدينة بخطوات الفيلسوف الحكيم ، وأقبل عليه الناس لحمد الله وشكر ، ثم حدجهم بنظراته القوية الصافية العميقة ، فانشق ألف حجاب ، وانقلب الظل شعاعاً وتجلت الفلسفة ، وعبق الجو بالروحانية ، وفاح عطر الحكمة ...

وسأله واحد من الجمع :

حدثنا أيها السيد عن التضحية فقال :

— جميل أن تضحوا بنفوسكم في سبيل المثل العليا ، وأجمل منه أن تبقوا أحياء لتكملوا أداء الرسالة الروحية ...

جميل أن تحترقوا ليستضاء ويهتدى بنوركم ، وأجمل منه أن لا تضرموا فيكم الأحطاب لتنقذوا من تأكله النار ، وتقطعوا عنه ألسنة اللهيب .

لا تغرقوا أنفسكم في بحر الوجود ليتسنى لكم أن تنقذوا الغرقى . . وكلما أنقذتم غريقاً وأقفلتم في وجهه باب الموت فتح لكم باب في السماء ...

أبقوا المناجل في أيديكم لتحصدوا حصادكم ... إن الحياة ليست بمعطف تلقونه بسرعة وخفة عن أكتافكم ، ولا هي قطعة النقد ترمون بها في الخزانة . . إن للحياة وزناً وثمناً . . إن لها حوضاً من مائها لا يجوز لكم أن تفرغوه في لحظة لتسقوا الأرض مهما اشتد جفافها وطال ... إن مياهكم تنبع من صدر الله .. الحياة أمانة في أيديكم فمن جازف بها خان الأمانة وإن ارتدت خيانته ثوب الصدق والإخلاص ...

وسأله آخر : ما هي كلمتك في الكبرياء أيها الحكيم فقال :

— لا صغير ولا كبير في الكون ... كل شعاع من الشمس شمس مقتضبة وكل قطرة من البحر بحر بليغ ، وكل حبة من الرمال صحراء مكبوتة ، وكل نسمة في الأثير أثير ينطوي على نفسه. الجزء في الكل والكل في الجزء ، والكل واحد ... إن في الذرة الصغيرة ما في الأفق الذي لا حد له ، هما صفحتان في كتاب وعينان في وجه ...

ليس لأحد أن يشمخ على الآخر :

الحجر يقول للجدار : لولاي لم تكن ، والجدار يقول للحجر : لولاي لم تلق وسادة تلقي عليها رأسك ... الخمرة تقول للكأس : لولاي لم تنعم بك شفة ، والكأس تقول لها : لولاي لذهبت هدراً ...

لا كبير ولا صغير في الكون ...

إن الرسالة واحدة وإن تغير الغلاف ، وأصل الحياة واحد وهدفها واحد فلا تشمخوا بأنوفكم على الخلق ... إن المهود واللحود تجمعكم في صعيد واحد ...

كلما شمختم على الآخرين وتخيلتم أنفسكم عظاماً ضربتكم القبور بها كل عظامها ...

وارتفع في الساحة صوت ملائكي يسأل عن الصلاة فأطرق الفيلسوف ثم قال :

— الصلاة هدير بحر الإيمان ، والمرساة التي تقف بها سفنكم في مرفأ الخالق ... الصلاة هي وهج الإيمان الذي يشتمل فيكم فكلما ألقيتم الأحطاب في ناركم صليتم . . هي الحنين إلى الأصل الذي جئتم منه ، وإلى الوطن الأكبر الذي تهتم عنه . .

إنكم تصلون لتطلبوا إلى الخالق إكمال ما نقص فيكم وإيقاظ ما كمن في أعماقكم ولتبلغوه شوقكم إلى الآخرة ، إلى اليوم الذي تنطلقون فيه من أسر هذه الكرة التي تستبد بكم وتدميكم بقيودها ، ولتفتحوا له جراحاتكم فيرى فيها مواضع الألم وطوابع المجرمين وحنق الطغاة وقسوة الزمن ...

الصلاة لسان الظمأ النارى في النفس يستجدي الماء من ينابيع النعيم ... وأنتم كلما حننتم على جريح أقمتم لله هيكلا ، وكلما حطمتم سيفاً من سيوف الغدر والخيانة والظلم برق لكم سيف في السماء ، وكلما قابلتم الإثم والرذيلة بجباه مقطبة بسم لكم السيد ...

الصلاة أن تستعجلوا الرحيل من هذه الفانية ...

وإذا صليتم فلا تنسوا هذه الكلمات :

اجعلني يا رب صالحاً للمثول بين يديك ... اعطني جناحين

لأطير إليك ... أنا تائه فاهدنى . . خذنى بيديك وتنقل بى من شمس إلى شمس ومن نجمة إلى نجمة ومن مجرة إلى مجرّة حتى أقع منهالكا على عتبة بيتك وأستريح ... أخل ساحة نفسى من كل شيء عداك ... اعطنى القوة لا لأصرع الجبار ، ولكن لأجعل من المملوك جباراً يطاول برأسه النجوم حتى يشرف على دارك . قيدنى بحبك .. أنت فى ضميرى وطفولتى فخذنى بيدك ولا تدعنى أنا الطفل الكبير أقع فى الهاوية ...

وسأله أحدهم عن الصبر فقال :

أنتم بين إرادتين : إرادة الإقدام وإرادة الصبر وأعظمها الثانية .

جميلة هى الموجة المقتحمة المائجة وأجمل منهـا الصخرة التى تردها ...

جميل السيف وأجمل منه الدرع التى تتقيه ...

جميل البركان وأجمل منه الجبل الذى يعرف أنه الجبل الوقور الرصين فيبقى حممه فى أحشائه لا يزعج بها الفضاء ولا يقلق المارين ...

وتقدم منه شاعر وسأله عن الطبيعة وكتابها فقال :

— إن للطبيعة رسوماً وأصواتاً فهل أنتم تنظرون وتسمعون ؟

الشمس تقول : أنا صورة من خيال الله إطارها الأفق فيسمعها البحر فيقول : أنا خلجة فى الصورة ، وتسمعها الرياح والأعاصير فتتنادى وتصرخ بصوت عظيم : نحن من أبواق الله ننذركم بشر المصير إذا كنتم لا تؤمنون.. والجبل يتكلم ويقول: أنا الجلال والوقار لا أبرح مكانى ولكن الإيمان ، الإيمان وحده يذهب بى حيث يشاء من مكان إلى آخر ، أنا فى مهب الإيمان على الرغم من صخورى وضخامتها وعلوها ، ريشة طائرة ... ويسمع الينبوع كلمة الجبل فيقول : أنا قطرة من خمرة الله ... وتهب الخمرة من الكأس لتقول : أنا من دمه ... وكل نجمة من هذه النجوم تقول لكم : إن بينى وبين رفيقتى عالماً مهجوراً وفراغاً مخيفاً ، كذلك أنتم فى مناطق نفوسكم التى لا تمد ... إن بينها أبعاداً شاسعة وقد تموتون والمنطقة الواحدة تجهل الأخرى.

وللقمر كلمته وهى أن لا تخدع به فهو يستعير نوره من الشمس وفى شعاعه المطمئن اضطراب العاجز ... والزهرة تتهد وتتأوه قائلة : ما دمتم تقطفوننى بأيديكم السمجة الغليظة ، فلستم من المؤمنين بالفن والأرج والجمال ، وإذا ذبلت وتحولت عنكم فذلك لأنكم لا تفهموننى ...

والمطر رحمة وكرم والبرق إلهام ، والرعـد غرور وثورة ، والصاعقة جنون ، والسنابل أصابع كف الحياة وهى تصفع الموت ، والبركان عقل باطن ثار وانفجر ، وندى الفجر دموع ، والظهيرة جحيم ، والأصيل هدنة والليل وشاح من أوشحة الموت ، والنابة أسرار والدرر فى الأعماق مواهب ، والضباب حيرة ، والنار ألسنة تخطب على منبر الفناء ، والنور نار وادعة ساكنة

وتمالت الأصوات صائحة :

— حدثنا عن الخالق والخليقة فنظر إلى السماء ثم قال :

— الخليقة قصيدة كانت مطوية تحت جناح الله فأطلقها شعراً منثوراً فى ساعة طاب له فيها أن ينثر الشعر ... هى قصيدة الحب والجمال وشاعرها الله ... لقد كنتم طيوراً تغرد فى حديقة الخالق ، والشوق إلى تلك الحديقة التى تنقلتم على أفنانها قبل أن عرفتكم هذه الشمس هو اسمى وأبرز ما فى نفوسكم التى تحن أجنحتها حنيناً لا يغذيه ولا يبلغه هدفه إلا الحب الروحانى ينير الطريق ويحرق الحجب الكثيفة ... إن وجه الله الحبيب لا يُرى على ضوء العقل والعلم وإنما يرى على ضوء النار التى يضطرم بها الوجدان ... إن الله يدرك بالوجد وبالعشق الإلهى الذى يقطع إليه وحده المراحل والأودية فإذا أطفأتم ناره فى صدوركم انقلبتم رماداً ...

واقترب منه ملاك وسأله عن الملك والملاكين فقال :

إن اليد التى تتلمس الأشياء وينداع بين أصابعها لهيب الحلم والشوق والحنين هى اليد الحراء الجيلة ، فإذا ظفرت بها تروم وقبضت عليه أثقلها الرماد والتراب وتوارى جمالها ... ألا ترون الينبوع كيف يفقد روحه إذا بلغ البحر ، والصحراء كيف كيف تهدم كيانها إذا اهتدت إلى الينبوع فجربوا ما استطعتم أن تطيلوا المسافة بين ينابيعكم وبحوركم وبين صحاريكم وينابيعها .

وبعد فما هو هذا الذى تملكون ؟ هذه الأجسام بأجسامكم ، أتحسبون أنها لكم ؟ إنها للتراب الذى تخلى عنها إلى حين ثم يستردها ويقفل العين التى كانت النفس تطل منها على الوجود..

وهذه الأموال التى تحشدونها وخزائنها الحديدية ، هى من التراب أيضاً ، من مناجمه التى تفتحون لحودها ثم تعودون إليها وليس فى أيديكم غير أصابعها التى ستتحول إلى سنابل فى الحقول ...

وهذه البيوت التى تقيمون بين جدرانها ليست لكم وكيف تملكونها وهى باقية يوم ترحلون ... إن الحجر أشد منكم شكيمة وقوة وصبراً فى ساحة البقاء ... ما الذى تملكون ؟؟ أتحسبون أنكم تملكون الفكرة والعاطفة ، إن أفكاركم وعواطفكم حلقات كسلاسل قديمة لا يدلكم فيها ولا تعرفون من أمرها إلا أنها توثقكم ... إن قلوبكم ليست لكم فهى تقيم فيكم على الرغم منها وتلح بنبضاتها المتعاقبة للخروج من أقفاصها ، أصابها (كوبيد) ببعض سهامه الطائشة ، فوقفت فى صدوركم وظلت هناك جريحة تئن وتستغيث طارقة باب النجدة للانعتاق من الأسر ...

والمرأة التى تتخذونها لكم رفيقة ليست لكم أيضاً فستظل إلى الأبد لغزاً لا يدرك سره ، وكيف يملك المجهول ؟ وهؤلاء الأطفال الذين تلدونهم قطرات دم كثيفة من سهام (كوبيد) تجمدت وتجسدت وأطلقها (كوبيد) لتأمن فى فنائكم ...

وهذه الحدائق ليست حدائقكم فى أشجارها الألوف من الخلق الذين تقمصوا وتجلوا أزهاراً وثماراً ... لا ، إنكم لا تملكون شيئاً أنتم وملوككم ... الملك لله ... هو وحده المالك ...

وسألوه عن الصمت والكلام فقال :

الصمت هو الأصل ، وقد خلق الإنسان ليفكر ويتأمل ويحلم ... إن ما يحيط به من الأسرار والأعاجيب فى السماء والأرض يوقفه موقف المعجب الثمل المشدوه المأخوذ بالعظائم والروائع لا تترك له مجالا لكلمة يقولها ...

إن الحيرة والأعجاب والوجد والذهول والانجذاب تخرس الألسنة وساحة الحياة أضيق من أن تسع قصور الخيال والتأمل والأحلام فأين فيها مكان الكلام ؟ ألا ترونه الدخيل يحشر نفسه فى صفوف الحياة حشراً ويتطفل على مائدتها ؟ الصمت وشاح تتشح به النجوى والتقوى ويتورع به التصوف والإيمان وعليه يقوم بيت الله ... الصمت يجمع نفوسكم والكلام يفرقها ... إن الآفاق كلها بنيرانها وشموسها وبحرانها صامتة فكيف تتكلمون ولم تتكلمون ؟؟

ودنا منه فيلسوف وسأله من الكلمات وقوتها وطنينها فقال :

إن الصور والرسوم التى تعرضها لكم الحياة لا تبدو لكم على حقيقتها فأنتم تلبسونها بكلماتكم الأثواب التى يحلو لكم أن تنسجوها .. إن الكلمات التى تستقونها من معاجمكم هى التى تسيركم ، الكلمات الضخمة القوية الطنانة التى تحمل من النسيم عاصفة ومن الشرارة ناراً تحرق الغابة ، ومن الشئ التافه شيئاً يتضخم ويمتد حتى يملأ الجو والساحة ..

قد يكون ما ترونه مظلماً فتطلقون عليه كلمة تشع فيصبح فى نظركم منيراً ... إن كلماتكم منافخ تنفخ الروح فى الأموات ومطافئ تطفئ الحياة فى الأحياء .. كلها من نسيجكم وإنكم تضيق وتتسع بإرادتكم وأوهامكم ومعاجمكم .. إن الفقر لا يحمل الجراحات التى تتخيلونها ولكن كلماتكم فيه حملته المدى والطعنات القاتلة ، والغنى ليس الطريق إلى السعادة ، ولكن ما نسجتموه حوله أجلسه على عرش العروش يوزع اللذات ويفتح أبوب النعيم.

إنكم تكثرون من الكلمات فيضيع عليكم الكثير من أهدافكم وأنتم فى ذلك كالشجرة التى تكثر أوراقها فتقل ثمارها . التفخيم والتضخيم ووراءها التشويش والتعقيد والحيرة والإلهام والإبهام من صنع أيديكم كأنه يلذ لكم أن تكثروا النجوم فى آفاقكم لتضيعوا فى مسالكها ..إنكم تلهون بطنين الألفاظ عن دقة المعانى وحقيقة الحياة وجوهرها وكأن كل كلمة من كلماتكم حجر تلقون به فى البحيرة الهادئة الحكيمة الوادعة فتقلق وتضطرب وتفقد الكثير من سكينتها وجمالها .

إن الله لم يتلفظ بغير كلمتين (ليكن النور) يوم رفع عنا الستار فى حين أنه رب الأبجدية والمعاجم .. إن الخالق يوم خلقنا كان بليغاً ..

وسألوه عن القوة الظاهرة والكامنة فقال :

— فى عالم الروح قوى كامنة تنتظر من يطلقها فإن شخصية الإنسان لا يبدو منها إلا العشر ما تنطوى عليه والباقى مختزن راقد فى الأعماق .. إن القوى الدفينة فى رمالكم عديدة بعيدة الأغوار، وما يستطيعه هذا المخلوق البشرى الذى يحسب نفسه ضعيفاً يمتد على مسافات لو كان له أن يجتازها فى عالم الحقيقة والمحسوس لأتى بالمدهشات . . . إن فى الإنسان فيضاً من نور الخالق ، ولكن

مسرحية « سليمان الحكيم »

للأستاذ توفيق الحكيم

بقلم الدكتور محمد القصاص

(تتمـــة)

كنا نتـكلم فى نهاية المقال السابق عن رأى الأستاذ توفيق الحـكيم فى أن التراجيدية تقوم على أساس من الدين ، ووافقناه على هذا الرأى ، وذكرنا أن تلك كانت حالها عنـد الإغريق . والآن نقول بأن ذلك كان شأن التراجيدية أيضاً فى أوربا المسيحية خـلال العصور الوسطى . فقد كانت تستمد موضوعها من صميم العبادة المسيحية والطقوس الـكنسية . فى بادئ الأمر لم يكن المسرح إلا صورة مكبرة لما يعمل فى الـكنيسة أثناء القداس لجعله أبلغ تأثيراً فى النفوس ، وأشد أسراً للقلوب ، وأفعل فى استثارة العاطفة . بعد ذلك صارت تمثل حياة ابن الإله فى صورة درامية تنفطر لها القلوب ، وحياة السيدة العذراء ، ومعجزاتهما ، ثم معجزات القديسين . ومن بعدها أخذت الخرافات والأساطير الدينية تغذى التراجيديا بمادتها التى لا تنضب . وكلها أشياء شعبية أليفة للشاهدين ، وفى متناول فهم الجميع وإحساسهم . كانت تمتزج بها الدعابة من حين لحين ، بل كانت تنزل فى بعض الأحيان إلى درجة من السخرية لا تليق بقداسة الدين ؛ حتى كانت السلطة الزمنية تضطر إلى التدخل ؛ ومع ذلك فقد ظلت الأرض الخصبة التى أزهر عليها المسرح التراجيدى أكثر من ثلاثة قرون هى عصره الذهبى دون جدال .

هل هذا ما يعنى الأستاذ توفيق الحـكيم عند ما يقول بأن التراجيدية لا تقوم إلا على أساس دينى ؟ إن كان ذلك مقصوده فإننا نوافقه كل الموافقة . ولـكننا نأسف أن نرانا مضطرين إلى التصريح بأن التوفيق قد أخطأه دائماً عند الاختيار ، ولا سيما فى مسرحية سليمان الحكيم . لأن الأستاذ لعله يخلط بين الإيمان والعواطف الدينية من جهة ، وبين جدل المتـكلمين من أمثال أبى حنيفة ، وإبراهيم النظام ، وأبى الحسن الأشعرى من جهة أخرى ، فبدل أن يتخذ موضوع مسرحيته من صميم العاطفة الدينية وما يغذيها من أساطير ، وكرامات ، ومآس يؤمن المؤمنون بحقيقتها وواقعيتها إيمانهم بالتاريخ وبالحقائق الـكونية ، راح يبحث عن هذا الموضوع فى الـكلام والفلسفة السكولاستية .

العيون لا تهم منه إلا على بضعة أشعة هى التى تأتى بـكل هـذا الذى ندعوه العبقرية والموهبـة والوحى والخيال الخـلاق والفن الرفيع ، والبقية الباقية غائبة عن الحس منطوية على نفسها ولا أدرى ما يكون من أمركم وأية أهوال تقذفون بها فى هـذه الأجواء ، وأية أسرار تهتـكون حجبها إذا لم تصب شموسـكم بالـكسوف وتجلت شخصياتـكم على وجهها الأتم . . خذوا من ساعاتـكم ساعة الإلهام وساعة الخطر وساعة الحلم وسـاعة الخطر وساعة الخمر تلمسوا بأيديكم ما تقوى عليه عقولـكم الباطنة إذا ما خرجت عن ذهولها . .

إن نظرة واحدة من نظرات تلك العقول فى يقظتها تـكفى لخلق هذه الروائع فى الفن ، وتلك العجائب فى العلم ، وإن شهاباً واحداً من تلك الشهب النفسية يتصل بـكم نوره يكفى ليضعكم فى عداد الأبطال والمستشهدين ، ويجعل من أسمائكم سيوفاً تبلغ من المضاء حداً تخترقون به كثافة الأجيال . .

آه لو استيقظتم اليقظة التامة الـكبرى لتأخذ العين ما قدر لها من مجال فى هذا الوجود ، وتنطلق ذراتـكم الروحية لتذليل هذه الصخرة الشامخة العاتية المارِدة القديمة القائمة فى طريقكم ، صخرة المستحيل . .

إن فى قبتـكم النفسية آلتى لا تقل عن هذه القبة الزرقاء روعة وسناء مئة ألف نجمة لا يضئ منها إلا نجوم قليلة معدودة فإذا ما أضيئت كلها وجدتم نفوسـكم التائهة وشعرتم بذلك الارتياح النفسى الذى تسمونه السعادة ، ولقد حان لـكم أن تنشروا كل ما فى كتابكم من صفحات لتحقيق حلمكم الأكبر .

راجى الراعى

أفيظن أن فكرة القضاء والقدر ، ولا سيما على النحو الذى يعالجها به فى مسرحيته ، فى وسعها أن تحرك قلب إنسان ، أو أن تثير انفعال مؤمن أياً كان ؟ الواقع أن الإيمان شىء والفلسفة مهما اعطت شىء آخر . ومع ذلك فقد عرف العالم الإسلامى — على نحو ما — هذا النوع من التمثيل ، تمثيل المآسى الدينية فى الطرقات والميادين العامة على نحو ما كان يفعل الإغريق القدماء أول عهدهم بالتمثيل . من ذلك مأساة مقتل الحسين ، ابن بنت رسول الله (ص) التى يقوم الشيعة فى إيران والعراق بتمثيلها يوم عاشوراء من كل عام .

فى هذا اليوم يحيى عامة الناس من ممثلين ومشاهدين أحداث يوم كربلاء ، لا على حقيقتها ، بل كما أرادت الأساطير وحماسة الإيمان أن تكون . يحيون هذه الأحداث الجسام التى تجتمع عليها خفقات قلوبهم ، وتثير فى نفوسهم عواطف اجتماعية ، ويفنون فى تمثيلها لشدة امتزاجها بنفوسهم واستيلائها على قلوبهم ولصوقها بإيمانهم . حتى لقد حدثنى بعض الأصدقاء ممن شاهدوا هذا اليوم بأن من المشاهدين من ينسى نفسه نسياناً تاماً ، حتى ليصيب نفسه بأذى قد يودى بحياته على غير شعور منه . على مثل هذه « العواطف الدينية » قامت التراجيدية الإغريقية ، وتراجيدية أوربا المسيحية حتى عهد كرنى . وهذه العواطف الدينية هى التى يجب أن تكون أساساً للتراجيدية ، هذه العواطف التى تلهب النفوس وتجمع بين القلوب ، لا جدل المتكلمين ومذاهب الفلاسفة السكولستيين ، كما فعل مؤلف سليمان الحكيم ، خلطاً منه بين العاطفة الدينية ، وبين الجدل حول الدين الذى لم يمس يوماً قلب إنسان ، وقد ينبو عنه فى عصرنا الحاضر عقل كل إنسان .

فإذا رأى الأستاذ الحكيم أن هذه المواضيع الدينية الساذجة أصبحت شيئاً بالياً ، وأن على الكاتب أن يشغل قلمه بما هو أجدى فى عصر طغى فيه جد الحياة وقسوة العمل ، فليترك إذن ميدان التراجيديا لتموت فى هدوء كما هى حالها فى كل مكان من بلاد الغرب ؛ ولينزل إلى ميدان « الدرامة » ميدان الحياة الاجتماعية ؛ إلى العالم الذى نعيش فيه ، فيصفه لنا بخيره وشره ، وإلى العالم الذى يريد لنا أن نعيش فيه ، فيهدينا إلى طريقه ، سواء أكان ذلك فى ميدان العمل أم فى ميدان الروح ، فى ميدان الاجتماع أم فى ميدان الميتافيزيقا . أما أن يصر على التراجيدية وهو يبتعد عن موضوعها على غير شعور منه لأن نفسه غير مهيأة له ، فتلك خسارة كبرى على فن توفيق الحكيم ، وهو فنان كبير ، وتبديد لمواهبه فى الهباء ، وهو ذو مواهب حقة لا نظن أحداً يشك فى قيمتها .

ومن أفدح ما أصاب فن الأستاذ الحكيم فى القصة التى ندرسها من جراء الفكرة التى تقوم عليها ، والتى دفع الكاتب إليها تشبثه بالتراجيدية مع بعده عن الصواب فى إدراكه للأسس التى تقوم عليها وإغراقه فى حب التفلسف ، أن جاءت روايته غير قابلة للتحقيق المسرحى لخلوها مما يثير قلب الإنسان أو يتصل بنفسه ، وبعدها عن واقع الناس والحياة الحقيقية . والظاهر أنه يدافع عن هذا المذهب ، ويعده مذهباً مقبولاً ، أعنى كتابة أدب مسرحى غير مسرحى ، وعمل روايات مسرحية ، لا لتمثل بل لتقرأ فى أوقات الفراغ . ففضلا عن تجلى هذه الظاهرة فى « سليمان الحكيم » ، نراه يقول فى مقدمته « لأوديب الملك » : « وأعنى بالمسرح هنا كل فن يرى إلى تصوير الأشياء والأفكار على خشبة أو شاشة أو موجة أو صحيفة ... بأن يقيمها حية تتحادث وتتحاور وتبرز مكنون سرها أمام الناظر أو السامع أو القارئ » واكنا — كما قلنا فى مقال سابق — إذا سلمنا بأن الأدب المسرحى فن من فنون الأدب قائم بذاته ، وجب علينا أن نسلم بأن ميزة هذا الفن إنما هى فى الصفات التى تمكنه من التحقق فى الخارج ، من اللعب على خشبة المسرح . لذلك قلنا إنه إذا تأتى له ألا يكون أدبياً فلا يسمح له بحال من الأحوال ألا يكون مسرحياً . هذا هو شرط المسرحية الأول بل حدها . فأول الأضرار التى أصابت المسرحية من جراء الفكرة التى حملها المؤلف إياها ، إنما جاءت مسرحيته لا تمت بشئ إلى قلب الجمهور وعقله ، مسرحية لا تحرك فيه عاطفة ولا صدى لعاطفة وهذا ضرر لا يستهان به لأنه جعل منها قصة غير تمثيلية ولكن فى صورة حوار .

أما الضرر الثانى فلا يقل خطورة من الأول ، وهو انعدام الشخصيات فى المسرحية ، انعدام ما يميز بعضها من بعض تمييزاً ذاتياً . إذاً لا تكاد توجد بينها شخصية واحدة تصدر فى

مسالكها في الحياة عن بواعث نفسية وإرادة إنسانية ، عن تقدير شخصي ، وعن عواطف وميول . ودوافع داخلية هي ملك لها وجزء من كيانها المعنوي ، وتميزها عن غيرها من أبناء جنسها وتلون مسالكها في الحياة بألوان تختلف عما عند الآخرين اختلافا قد يكون كبيراً وقد يكون طفيفاً ولكنه جوهري وذو خطورة عظمى ، لأنه هو الذي يهب الإنسان إنسانيته ويسبغ على كل فرد فرديته . وهو الذي يجعل من كل إنسان كوناً شاملا شاسعاً غامضاً يستحق الدراسة والتأمل ، كوناً منطقياً تارة وغير منطقي تارة ، تتصارع فيه الأهواء والعواطف والشهوات والأفكار وجميع العوامل النفسية والانعكاسات الخارجية . من هذا الصراع الداخلي ، جلياً كان أو خفياً ، ومن اصطدام حرية الفرد بحرية الآخرين ؛ ومن نضاله ضد قوانين الكون الراسخة ، تنفجر درامة الحياة الواقعية بما فيها من مآس ومهازل وأبطال هم بنو الإنسان جميعاً . وكلهم شاهد ، وكلهم ممثل . وكلهم يلعب دوراً أصيلا في الدرامة ؛ دوراً لا يلغي شخصيته ولو كان يلغي الشخصية ، ولا يجعل منه نسخة من الآخرين لأنه يصدر في عمله عن نفسه ، عما فيه من صفات ؛ حتى عند ما يحاكي الآخرين ؛ لأنه وجود إنساني له كيانه . درامة الحياة هذه هي التي يجدر بالكاتب المسرحي أن ينقلها لنا على المسرح كما يراها بعينه وكما يدركها هو ؛ ينقلها بأبطالها بعد أن يتقمصهم الممثلون .

أما شخصيات الأستاذ توفيق الحكيم في رواية سليمان الحكيم فهي أشبه بالآلات ؛ تأتيها الحياة من خارجها بدل من أن تنبثق من داخلها ؛ وتفرض عليها الحركة من السماء فرضاً بدلا من أن تخلق هي الحركة ؛ لذلك كانت كلها بسيطة متجانسة تجانس حبات القمح ، حتى عند ما تبدو مختلفة بعض الشيء . وذلك لأن أفعالها وتصميماتها غير ذاتية . ومرجع هذا كله ، مرجع انعدام الصراع وعدم التميز والحياة الحقيقية في شخصيات سليمان الحكيم إنما هو إلى دعوى المؤلف أن الحب وسائر أمور القلب ، بل كل وازع خلق وكل ما يستطاع الحكم به على سلوك الفرد والجماعة إنما هو أثر لقدر صارم يضرب ضربته حيث يريد هو ، لا حيث نريد نحن . وتلك عقبة كبرى تحول بين القصة وبين المسرح ، لأن المسرح كما قلنا يشترط الحياة والحركة ، الحركة الداخلية والحركة الخارجية ، والارتباط بين هذه وتلك . ولكننا إذا أخذنا أبطال الحكيم واحداً واحداً ، وقذفنا بهم خارج الرواية لنحل محلهم أفراداً غيرهم أياً كانوا ، لبلغت الرواية نفس النتيجة التي بلغتها ولما تغير شيء في الوجود ، ما دامت القوة الخفية هي القوة الخفية والإطار المادي الذي يحيط بهم هو هو لم يتغير . فهي أشخاص تشبه المرائس الخشبية (marionettes) قد تصدر عنها حركات بهلوانية عجيبة ، ولكن الفضل فيها يرجع إلى اليد الخفية التي تحركها من وراء الستار . وإلا فهل يمكن لإنسان ، ولو كان المؤلف نفسه ، أن يستخرج لنا من قصة سليمان الحكيم صورة لسليمان تتبين فيها أنموذجاً بشريا خاصاً ؟ أو حتى صورة إنسانية شائعة ؟ وأرجو من القارئ الكريم ألا يخلط بين ما قد يكون في ذهنه من صورة لسليمان الذي عرفه في النصوص القديمة وصورة سليمان الذي نفتش عنه عبثاً في القصة .

فلسنا نعرف شيئاً عن باطن سليمان ، ولا عن مذهبه في الحياة إن كان له فيها مذهب ، ولا عن وازعه الخلقي ، ولا عن صلة كل هذا بما يظهر من أعماله في الحياة الخارجية وبحظه فيها من سعادة وشقاء له ولمن يحيط به . بل كل ما نعرفه عنه أنه أوتي الحكمة والثراء ، وأنه أحب بلقيس قضاء وقدراً ، وأن بلقيس لم تحبه قضاء وقدراً أيضاً ، فسمى له العفريت لاستمالة قلبها إليه بالوسائل التي نعرفها في القصة ؛ فلما لم يفلح علم أن كل شيء بقضاء وقدر .

ويمكننا أن نقول نفس الشيء بالنسبة لبلقيس ومنذر وغيرهما ، فبلقيس أحبت منذراً دون أن يحبها ، فسمت لاستمالة قلبه إليها على غير جدوى ، وبقدرة قادر استبان لها أن كل ذلك كان بقضاء وقدر . وأحب الصياد الجارية التي اشتراها بماله ولم تحبه ، فسرحها من فوره ، ولم يحاول أن يستميلها إليه كما فعل سليمان ، وعرف من البداية أن كل ذلك بقضاء وقدر . عرف ذلك لأنه لم يعط ما أعطى لسليمان من القدرة التي تحجب المعرفة عن الإنسان وتجنح به دائماً — على حد ما يفهم من فلسفة الأستاذ الحكيم — إلى أن يسيء استعمالها فيحاول المحال . يقول على لسان سليمان :

« هي القوة يا بلقيس تغمض بصائرنا أحياناً من رؤية عجزنا الآدمي ، وتنسينا ما منحنا من حكمة ، وتزين لنا المضي في كفاح لا أمل فيه … فنسير بغرورنا تحت نظارات الرب الساخرة … آه يا بلقيس

ليس يحتوي على الحكمة شيء غير القدرة ... الآن أدرك لماذا أعطاني ربي وهو السلطان والغنى والقدرة إلى جانب ما سألت وهو التمييز والحكمة » . فليس يتميز الإنسان إذن إلا بما يحوطه من مظاهر الحياة الخارجية .

وكان الطبيعي أن تؤدي تفاهة الشخصيات وسطحيتها إلى خلوها من الصراع الداخلي (من أي نوع كان) خلواً يكاد يكون تاماً . أما الصراع الخارجي ، صراع الإنسان ضد القوة الخفية التي أراد الكاتب الكريم أن يجعلها أساساً لمسرحيته ، فلا يكاد يحسه القارىء في شيء ؛ لأن الإنسان فيها إذا صارع هذه القوة ، لم يفعله إلا بوحي من هذه القوة نفسها ، وكان صراعه معها أقرب إلى العبث منه إلى الجد ، لأنه صراع مدبر مصطنع ، صراع الملهاة لا صراع المأساة ، صادر من شخصيات سلبية ، إذا صح لنا أن نستعمل هذا التعبير . وإذا خلت التراجيدية من الصراع ، فقد فقدت كيانها كما يذهب الأستاذ الحكيم نفسه في رأيه الذي أشرنا إليه في المقال السابق . وكانت نتيجة كل ذلك لصوق الرواية بحروفها ، وضحالة حوارها وجموده . نعم نحن لا نخفي إعجابنا الشديد بمهارة الأستاذ النادرة في إدارة الحوار ، وقدرته الفذة في جعله يتتابع بعضه من بعض سلساً كالماء ، دون أن يبدو فيه أدنى تكلف . ولكنه خلو من الحياة والحركة ؛ إذ كان أصحابه شخصيات مجردة مبهمة . وذلك يجعل إحساسنا بوجود تلك الشخصيات الإنسانية التي مسخت أحجاراً ؛ فجاء حوارهم حواراً غير مسرحي ، وصار الكتاب من الوجهة الفنية ، أشبه بمحاورات أفلاطون مثلاً منه برواية تمثيلية . فلولا تدخل الكاتب في كل حين ليلقي بحكمه وأحكامه الخلقية والميتافيزيقية لتعذر على القارئ فهم غرضه من روايته ونظرته للحياة . من مجرد تتبعه لمسلك أبطاله النفسي (إذا سلمنا بأن في الرواية ما يشعر بما يبدو في طوايا نفوسهم) والخارجي . ولعل الفصلين السادس والسابع من الرواية خير شاهد على ما نقول ، ففيهما يحاول الأستاذ أن يلخص وجهة نظره ، ويحرر دعواه الفلسفية ، ويستخلص مغزى قصته ، التي كان قد نوى أن يحملها عنه أحداث الرواية إلى القراء والشاهدين ؛ يفعل ذلك على نحـــو ما يفعل مؤلفو الدراسات والرسائل العلمية فيما يسمونه بالخاتمة Canclusion..

ولكنه يرسله على شكل حوار على لسان أبطاله . والواقع أن هذا العمل ضروري لإيضاح مقاصد المسرحية ولكنه عمل غير مسرحي

والآن إذا أردنا أن نجمل في سطور ما فصلناه في مقالاتنا الثلاثة قلنا بأن أساس الفكرة التي بنى عليها الأستاذ توفيق الحكيم قصته غير سديد ، ولا سيما أن استخراج هذه الفكرة من وقائع المسرحية أمر عسير ، بل قد توحي هذه الوقائع نفسها على ما فيها من بعد عن واقع الحياة الحقيقي — بعكس الفكرة الدعاة ، وفي تلك الحياة يبدو التناقض من وقائع الرواية وبين الحكم والأحكام التي ينطق بها المؤلف أبطاله . ولما كانت فكرة الرواية غير جديرة بإثارة الجمهور أو تحريك عواطفه ، كان حظ الرواية من النجاح في التمثيل ضئيلاً . وإذا أضفنا إلى ذلك تفاهة شخصياتها وحرمانهم من الحركة الذاتية ، نقول كل هذه الأشياء مجتمعة تبعد عن الرواية صفة المسرحية الحقة بعداً شاسعاً . كما أن اطمئنان الأشخاص النفسي ، إلا فيما يضيف المؤلف في حكمه على لسانها من قلق لا يظهر أثرها في مسلكها في الحياة ، مما جعل الرواية خالية من كل صراع .

وبعد فتلك دراسة إجمالية للرواية لا ندعي لها الشمول ؛ فقد تركنا التفاصيل جانباً ، ولم نهتم بتحليل حوارها ، وبيان مقدار ما فيها من ملاءمة بين أصلها ومعانيها . وإذا كنا قد سجلنا عليها بعض المآخذ ، فإننا نعترف لمؤلفها الكاتب الكبير بأصالة فنه ، وصدق فهمه للأدب فهماً يختلف عما هو شـــائع لدى كثير من كتابنا — ولا سيما في باب القصة — من أن الأدب فن مهارة وحذق يهدف إلى توليد المعاني المبتكرة البراقة المعجبة وخلق المفاجآت العجيبة المسلية دون أن يكون فيه أثر لنماء الفكر الجدية . وإذا كان ذلك حكمنا على سليمان الحكيم ، فإننا نعتقد أن أدب الأستاذ توفيق الحكيم وفنه أوسع وأخطر من أن يمثلها كتاب واحد من كتبه . لذلك نرجو أن تتاح لنا فرصة قريبة ندرسه فيها دراسة تليق بمكانه في نفوسنا ومقامه في نهضتنا الأدبية . ونرجو أن تحتل هذه الدراسة مكانها في كتابنا عن المسرح في مصر الذي نعمل على إخراجه إن شاء الله .

محمد القصاص
دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة باريس

صور من الحياة :

ضعف

للأستاذ كامل محمود حبيب

تبًّا لك يا من تتشح بالمبادئ الفجة والنظريات السقيمة لتغوى العقول المتداعية والأذهان الضعيفة فتخدعهم عن الوطن وهو روح القلب ، وتصرفهم عن الدين وهو نور الحياة ، وتشغلهم عن اللغة وهي سر الكرامة . أي شيطان وسوس لك – يا صاحبي – فرحت تمتهن الوطن والدين واللغة ، وجئت تريد أن تسترق الناس منها جميعاً لتذرهم – بعدها – حطاماً خوى من الكرامة والرجولة والإنسانية . لقد قلت لي يوماً « أنا ابن الطبيعة وثمرة الحرية فدعنى أهم في أرجاء الأرض لا يقيدني وطن ، ولا يمسكني دين ، ولا تربطني لغة . دعني أنطلق منها فهي أغلال ثقيلة تشل عقلي وتصمق خواطري وتميت بأفكاري » آه يا صاحبي ، إنك حين تنبذ المعاني السامية للوطن والدين واللغة تسجل على نفسك أن في عقلك لوثة وأن في خواطرك خللاً ، وأن في أفكارك صدعاً .

* * *

لقد درج أحمد وشب في كنف الريف ، ونما وترعرع في حضن الغيط ، وقوى واشتد في ظل الدين . ثم دفعه أبوه إلى الكُتّاب ليقرأ – أول ما يقرأ – القرآن ، ويتعلم – أول شئ – الوضوء والصلاة . وقضى سنوات يغدو إلى الكتاب ويروح إلى الدار أو إلى الحقل ويختلف إلى المسجد ، وأبوه رجل ريفى جاف ، غليظ الكبد ، شديد البخل ، سريع الغضب ، ضيق العقل ، ثائر الأعصاب ، تنزعج الدار لرؤيته ، وتتفزع لغضبه ، وهو – دائماً – يتلمس أوهى الأسباب ليزجر زوجه في عنف ، ويعاقبها في جفوة ويقسو عليها في إفراط ، والزوجة تضطرب بين يديه في صمت وتبكي في تخاذل ، والدار في عينيها جحيم تتسعر ما يهدأ أوارها ، ولا يسكن لهيبها إلا حين يتوارى هذا الوحش الكاسر .

وشب الفتى بين أب جاف وأم متكسرة ، يشهد عنت الأب وثورته ويقاسي هوان الأم وذلها ، وهو عاجز اليد واللسان لا يستطيع أن يرد أباه ولا أن يدفع عن أمه ، فعاش هملاً في ناحية من الدار يفتقد العطف ، وقلب أبيه صلب لا ينبض بشفقة ، ولا يخفق برحمة . والبخيل – دائماً – رجل أرضى النزعات ترابي المشاعر طيني الجبلة لا تشرق في نفسه أضواء الرجولة ولا ومضات الإنسانية . وأمه في شغل تجتاحها العواصف من حولها فلا تحس في قرارتها معاني المرأة ولا روح الأنثى .

وهكذا اضطربت الحياة في ناظرى الفتى وتزعزعت أركانها ، فنشأ ضعيف النفس ، واهي الروح سقيم الخلق وضيع الهمة ، وبدا منقبض الأسارير مشلول العقل ، لا يحس السعادة في طفولته ولا يجد اللذة في صباه ولا يستشعر المتعة في شبابه ، يأنس بالوحدة ويطمئن إلى الخلوة ، وتعقدت نفسه فانحط عن أترابه ، وسفل عن زملائه . ولزمته هذه الخصال فعاش عمره مضعضع الجانب مغلول النزعة مستلب الحرية .

وحين انتظم في سلك المدرسة وجد في الكتاب سلوة وعزاء فدفن نفسه بين دفتيه لا يبغى عنه حولا ، فصدأ عقله من طول ما انكب على الدرس ، ونحل جسمه من طول ما أرهق ذهنه ، وذوى شبابه من طول ما ذاق من حبس ومن حرمان . وإن الطالب في المدرسة ليقع بين عدوين : المدرس والمنهج . فالمدرس في المدرسة يسيطر عليه الفتور والملل فهو يشرح في خمول ويعامل تلامذته في قسوة ، لا يندفع إلى العمل في نشاط ، ولا يهب إلى الدرس في رغبة ، وإن نفسه لتتوثب سخطاً وكراهية حين يحس عنت العمل وضياع الحق ، وإن حيويته لتخبو رويداً رويداً حين يخيل إليه أنه قد تخلف عن الركب ، فهو – في رأى نفسه – يبذل غاية الجهد ولا يجد الجزاء ، ويستفرغ منتهى الطاقة ولا يلمس الوفاء . أما المنهج فهو أخلاط من العلم ينوء بها العقل المتألق ، وأشتات من النظريات يتيه في أضعافها الذهن المشرق ، وألوان من الدرس يضل في ثناياها الفكر المتوثب . فما بال أحمد ؟ لطالما كان يتعثر في علومه ، ولكنه سكن إلى الدرس لا يريم ، فهو يخشى وطأة أبيه وإن يده لثقيلة ، ويكره داره في القرية ، وإن جنباتها لموحشة ، ولا يطمئن إلى أمه وإن فيها التكسر والخذلان

* * *

وتخرج أحمد – بعد لأي – في مدرسة المعلمين العليا قسم الآداب، ولكن أعجزه أن يكون مدرساً ناجحاً بالمدارس الثانوية فانطلق يتلمس مخرجاً. ووجد الخلاص على يدي رجل من رجال الدولة ذي مكانة وشأن، فراح يتملقه ويستخذي له ويستجدي عطفه، فقربه الرجل إلى نفسه وأدناه من مجلسه، ونقله من المدرسة إلى الديوان ليكون صنيعة له هو، وليكون مرءوساً له، وليكون آلة صماء يديرها على أي نسق شاء.

وجلس الفتى إلى مكتبه في الديوان، وإن قلبه ليتوثب فرحاً من أثر الفوز، ولكنه ما لبث أن رأى نفسه ساقة بين زملائه، منبتًا عن رفاقه، لا يكاد يبلغ شأوهم، ولا يستطيع أن يرقى إليهم، فاستولى عليه اليأس وتملكته الحيرة.

أما الرجل، فهو موظف كبير في الحكومة، وسمته الوظيفة بميسمها ولقنته في خصالها. والوظيفة الحكومية تسم الموظف الكبير بالغطرسة والكبرياء وتصبغه بالعظمة والتسامي، فهو يركن – دائماً – إلى من يتملقه ويتمسح به، وينفر – أبداً – ممن يحس فيه الإباء والكرامة والشرف. وتسم الموظف الصغير بالضعة والذلة. واطمأن الفتى إلى رئيسه الكبير حين وجد فيه العون والساعد، واطمأن الرئيس إلى الفتى حين لمس فيه الطاعة والاستكانة. وعاش أحمد تبعاً لرئيسه يتصاغر أمامه إن أغلظ له القول، ويتضاءل له إن أرهقه بالعمل، لا يستشعر في ذلك الاحتقار ولا المهانة، وهو يرى أن الأمر قد تهيأ له واستقام، وأن المستقبل – في رأي عينه – قد تفتح له وازدهر على يدي هذا الرئيس ...

وكان الرئيس رجلا يتصنع الأدب وما توافرت له أداته، ويتكلف العلم وما تكاملت له أسبابه، فاتخذ من الشباب المثقف صنائع ضمهم تحت جناحيه وحباهم بعطف موهوم، يبذل لهم الوعد الخلاب، ويمد لهم في الأماني البراقة، ثم راح يستنزف شبابهم الغض ويستغل عقولهم الناضجة، فامتلأت داره بمن يقدم له الأبحاث العلمية، ومن يترجم له أمهات الكتب الغربية، ومن ينشئوا له المقالات القيمة لقاء كلمة معسولة، أو ابتسامة عابرة، أو دريهمات لا تقيم أود ...

ووجد الرئيس في أحمد فتى سلس القياد، سهل الخضوع، لين العريكة، لا يمل العمل وإن أضناه، ولا يضيق بالجهد وإن أسقمه، ولا يقصر في أمر وإن أعضل عليه، فاصطفاه لنفسه وعهد إليه – فيما عهد – أن يترجم فصولا من كتاب في الفلسفة

ودخلت – ذات مرة – إلى مكتبه في الوزارة فألفيته جالساً إلى هذا الكتاب يترجم فصوله إلى اللغة العربية، وبين يديه قاموس كبير، ومن حوله رفاقه في المكتب وقد انثمروا في نقاش عنيف صاخب، فامتلأت أرجاء الحجرة بالضجة واللغط والضوضاء والفتى منصرف عن الحديث إلى الترجمة لا يعبأ بما حوله ... وعجبت أن يؤدي الفتى هذا العمل الفني الدقيق في هذه الضجة الصاخبة، وهو يتطلب المكان الساكن والأعصاب الهادئة والفكر المتفرغ!

وَيْ ... كأن هذا الفتى يعمل عملا آلياً لا روح فيه ولا معنى! لا عجب إن أخرج للناس صفحات مهلهلة متداعية تتكدس في جوانبها الأخطاء اللغوية والأغلاط الفنية ... ولكن الفتى كان حريصاً على أن يرضى رئيسه وأن يقدم له أكبر إنتاج في أقصر وقت ...

وحين لمس الرئيس في الفتى الجد والإخلاص والجلد عزم على أن يجزيه أجر ما فعل. وفي ذات يوم أخذ يحدثه قائلا: «كيف تقضي وقت فراغك يا أحمد؟» قال: «في البيت يا سيدي». فقال الرئيس: «أفلا تريد أن تشغل فراغك بعمل يدر عليك مالا؟» قال الفتى: «وكيف السبيل يا سيدي؟» قال: «لقد وجدت لك عملا يرضيك، أقدمه لك جزاء إخلاصك واجتهادك» قال الفتى في سرور ونشوة: «وما هو يا سيدي؟» قال: «أن تقوم بالتدريس مساء في معهد (كذا) الأجنبي» ... واندفع الفتى إلى رئيسه يلثم راحته شكراً له على فضله وتقديره!

ودخل الفتى المعهد ليبيع كرامته وشرفه ورجولته بثمن بخس دراهم معدودات ... واطمأن عميد المعهد إلى استخذائه وضعفه، فشمله بعطفه وحباه بصداقته ... ثم ... ثم قرر – بعد حين – أن يوفده في بعثة إلى الخارج ليتم دراسته على نفقة المعهد ليكون صنيعة له وعوناً وساعداً.

ولبس الفتى القبعة .. لبس القبعة لينزل عن كرامته ولينبذ المعاني السامية للوطن والدين واللغة ...

كامل محمود حبيب

القبائل والقراءات

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

- ٨ -

تقدم ما شاركت قبيلة أسد فيه غيرها عند الكلام على تميم وهذيل، وهذا ما نسب إليها بخصوصها، أو مع غيرها مما لم يسبق الكلام عليه، وقد صرت الترجمة لها وتبيان أماكنها.

١ - الفعل الماضي الثلاثي المعتل الوسط، وهو المسمى الأجوف مثل: قال، وباع إذا بنى للمجهول، فأكثر القبائل تكسر الحرف الأول وتقلب حرف العلة ياء يقولون: بيع وقيل بإخلاص الكسر في أول اللفظ، وهذه اللغة هي المشهورة بين قبائل العرب، لكن بني فقعس وبني دبير من أسد، وبعض قبيلة هذيل يضمون الحرف الأول ويقلبون الألف واواً يقولون: بوع وقول بإخلاص الضم في أول اللفظ، وقد روى عليه قول الشاعر:

ليت وهل ينفع شيئاً ليت ليت شباباً «بوع» فاشتريت

وقول الآخر:

«حوكت» على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

ولم يقرأ أحد على هذه اللغة مما ورد مبيناً للمجهول في القرآن الكريم.

وهناك وجه ثالث في طريقة بناء هذا النوع للمجهول وهي لهجة لبعض أسد وبطول من قيس منها عقيل ذلك بأن يجعلوا حركة الحرف الأول بين الضمة والكسرة، وبهذه اللهجة قرأ الكسائي وهشام: قيل وغيض وحيل وسيء، وجيء وسيق وافقهما نافع وابن ذكوان في سيء، وسيئت وزاد ابن ذكوان في موافقته: حيل وسيق. وهذه اللهجة تسمى في إصطلاح القراء والنحاة: الإشمام. وهناك إشمام آخر ليس هذا موضع بحثه.

٢ - ما كان صفة على وزن فعلان بفتح الفاء، فالقبائل العربية تجعل مؤنثة إذا كان له مؤنث على فعلى ما عدا صفات قليلة، عددها الأشموني، تبلغ أربع عشر صفة منها خمصان بمعنى الضامر البطن، وقشوان بمعنى الرقيق الساقين، وسيفان للرجل الطويل.

ولهذا فإن ما كان مؤنثه فعلى يمنع من الصرف - أي التنوين - ويرفع بالضمة، وينصب ويجر بالفتحة بشرط عدم إضافته، وعدم تعريفه بأل، لكن قبيلة أسد تجعل المؤنث دائماً على وزن فعلانة، فيقولون مثلاً في مؤنث غضبان: غضبانة، وغيرهم يقول غضبى. وعلى لغة أسد تصرف جميع الصفات المذكرة وتجر بالكسرة.

وهنا نتساءل عن هذه الصفات الأربع عشرة التي استثناها النحاة وقالوا إن مؤنثها فعلانة، أكانت في أول أمرها تستعمل بلفظها، ومنماها عند قبيلة أسد؟ أو غلب استعمال أسد لها؟ وعنها أخذتها القبائل العربية بمؤنثها؟ واستعملت مذكرها مصروفاً كاستعمال أسد لها؟ أم أن النحاة واللغويين وجدوا في الآثار الأدبية مؤنثها فعلانة - وما ذلك إلا من استعمال أسد - فحكموا بصرفها ومنعوا غيرها من الصرف؟ مع أنه قد يكون هناك مثلها؟ وإذا كانت هذه الصفات مستعملة من أول الأمر عند القبائل العربية الأخرى، فلم كانت وحدها هي التي تؤنث على فعلانة؟

في رأيي أن هذا كان من الآثار الأدبية التي استقرأها النحاة واللغويون فاقتصروا على استثنائها وكان حقهم ألا يخصوها لهذا الاستثناء. كما أرى أنه يجوز لنا أن نمنعها من الصرف حتى تسير على النمط الغالب في القبائل الأخرى بأن تعرب إعراب ما لا ينصرف كما يجوز لنا أن نؤنثها على فعلى تبعاً للقاعدة العامة عند القبائل حتى مع عدم النص على ذلك في معاجم اللغة! ولا معنى لاستثناء بدون معنى، ويجوز لنا أن نصرف جميع الصفات المذكرة التي على هذا الوزن إذا سلكنا طريقة أسد. على أن بعض هذه الصفات التي استثنوها، سمع له تأنيث على فعلى بجانب تأنيثه على فعلانة. حكى ابن الأعرابي امرأة خمصى؛ وأنشد للأصم الدبيري:

لكن فتاة طفلة خمصى الحشى غريرة تنام نومات الضحى

ونلحظ هنا أن الأصم الدبيري من دبير وهي بطن من أسد فإما أنه خالف لغته وجرى على نهج القبائل الأخرى في تأنيث

فعلان ، وإما أن هذا البطن الذى ينتمى إليه ، يخالف بقية بطون أسد فى تأنيثه .

وسمع أيضاً : كبش أليان ونعجة أليانة وأليا . وجاء ضحيانة وضحيا .

وبحد صفات لم يستثنوها ومونثها فعلانة ، فقد ورد شفة ذبانة أى ذابلة ، ونظر القاموس لها بقوله كربانة . وقال شارحه إنها من الصفات التى جاءت على فعلانة فى حين أن القاموس وشارحه لم يذكرا لفظة ربانة فى مادتها . وقالت أعرابية : أجد عينى هجانة — أى غائرة — وشفتى ذبانة وأرانى حبلانة . ولفظة هجانة لم يذكروها فى المستثنيات ولم يذكروها أيضاً فى مادتها ، وإنما جاءت عرضاً فى مادة أخرى .

وقد جرت القراءات القرآنية على اللهجات الغالبة فى استعمال ما كان له مؤنث على فعلى ممنوعاً من الصرف حيث لم يقرأ أحد بالتنوين « غضبان أسفا ... » « حيران له أصحاب » بل اتفقو على منع الصرف . ولم تجئ أى لفظة من المستثنيات فى القرآن حتى نحكم عليها .

٣ — بنو مالك من أسد يضمون « ها » التنبيه التى تأتى بعد « أى » فيقولون فى يأيها الرجل ، ويأيهـا الناس : يا أيهُ الرجل ، ويا أيه الناس إلا إذا تلاها اسم إشارة ، فحينئذ يوافقون بقية القبائل فى فتحها وذلك مثل أيهذا . وقد قرأ ابن عامر أيه الثقلان وأيه المؤمنون بالضم فى حالة الوصل على لغة بنى مالك .
ونسب شارح القاموس هذا الضم إلى بنى أسد عموماً .

٤ — إذا كان الاستثناء مفرغاً بمعنى أن المستثنى منه ليس مذكوراً فى الكلام فإن ما بعد إلا يكون حسب ما يقتضيه العامل تقول ما جاءنى إلا محمدٌ . ومعلوم أن لفظة « غير » تقوم فى بعض استعمالها مقام « إلا » على أن تكون حركة المستثنى التى يستحقها ظاهرة على « غير » نفسها وهى مضافة إلى ما بعدها تقول ما جاءنى غير محمد برفع غير ، وإضافتها إلى ما بعدها ... الخ المعروف فى علم النحو لكن بعض بنى أسد ويشاركهم بعض قضاعة يفتحون « غير » فى الاستثناء مطلقاً سواء تم الكلام قبلها أم لم يتم يقولون « ما جاءنى غيرَك » « وما جاءنى أحد غيرَك » بفتح الراء فيهما وتكون لفظة « غير » على لغتهم هذه مبنية على الفتح عند استعمالها فى الاستثناء .

٥ — فقعس ودبير من أسد يخفضون « حيث » فى موضع الخفض وينصبونها فى موضع النصب يقولون كان ذلك حيث التقينا . ومن حيث لا يعلمون » ولم يقرأ أحد على لهجتهم فى حالة الجر أما حالة النصب فقد وافقوا بعض بنى تميم . وسبق من قرأ بها كما سبق أن اللغة المشهورة هى بناء حيث على الضم دائماً .

٦ — بنو أسد يلقون حركة الهمزة إلى ما قبلها إذا كان ساكناً وذلك فى حالة الوقف فيقولون هـذا البُطُؤ وكرهت البُطَأ وهو يسير ببطِئ . وسبق أن بعض تميم يفعلون ذلك

٧ — تقدم أن فعل الأمر المضعف يفك إدغامه عند الحجازيين ويظل على إدغامه عند النجديين إلا أن النجديين يختلفون فى حركته الأخيرة فكعب وغنى من قيس يحركه بالكسرة مطلقا وأغلب النجديين يحركونه بالفتح سواء كان بعده ساكن أم متحرك أما أسد فتحركه بالفتح مالم يكن بعده ساكن فإنها تكسره مثل قولك . ردّ الجواب يقولون ردّ الجواب وتقدم لنا أن بعض تميم يحركون الآخر بحركة فاء الكلمة فى الأمر فتحا وضما وكسرا .

٨ — الفعل الذى ينتهى بواو الجماعة أو ياء المؤنثة يقف عليه بنو أسد وبعض قيس فى قوافى الشعر بحذف الضمير يقولون عند الوقف على صنعوا وتكلمى : صنع وتكلم وليس لوقفهم هذا أثر فى القراءات .

٩ — تقول أسد فى جبريل باللام « جبرين » بالنون بكسر الجيم أو فتحها ولم يقرأ أحد بلغتهم . كذلك يؤنثون الهُدى والسُرى بمعنى أنهم يعيدون إليهما الضمير مؤنثاً .. الخ والقرآن الكريم استعمل الهدى على اللغة المشهورة بالتذكير . (قل إن هدى الله هو الهدى . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده) ولم تقع لفظة السرى فى القرآن الكريم .

١٠ — هُوَ وهِىَ الضميران يسكنون آخرهما فى الوصل والوقف ولا يفتحون الواو ولا الياء وقد روى :

وكنا إذا ما كان يوم كريهة ... فقد علموا أنى وهْو فتيان

١١ — العضد بفتح فضم ينطقونه بفتح فكسر وذكر البحر أن بعضهم قرأ سنشد عضِدك بأخيك بفتح فكسر أى على لغتهم ولم يسم القارئين .

١٢ — يقولون قنط يقنط كضرب يضرب وغيرهم يقول كعلم يعلم وقرأ الجمهور قنطوا بالفتح على لغتهم وقرأ الأعمش وابن وثاب بالكسر على لغة غيرهم . وقرأ أبو عمرو والكسائى والأعمش ومن يقنط على لغتهم بالكسر والباقون بالفتح على لغة غيرهم

١٣ — السكين ينطقونه بفتح الميم . وبكسره غيرهم ولم يقرأ أحد بلغة أسد .

١٤ — من ألفاظهم : إن السمر لمخادع : ارتفع وعلا . كلت فلاناً فما رأيت له ركزة : أى ليس بثابت العقل . ما أعوج بكلامه : أى ما التفت إليه كرثأ الشعر وغيره : كثر والتفت وتراكم . الأصلج : الأصم .

١٥ — حكى الأخفش أن بعض بنى أسد يقولون فإنهم ، وإما بكسر الفاء والواو بمعنى أن الكسرة أثرت فيما قبلها وتغلبت عليها .

قبيلة كنانة :

وهذا ما ينسب إلى كنانة التى سبق أن ترجمت لها وبينت مساكنها .

١ — المشهور فى المثنى أن يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء لكن بنى الحرث بن كعب وزبيد ومراد وهم من مذحج من كهلان وخثعم وهمدان من كهلان وعذرة من قضاعة وبطون من ربيعة وبكر بن وائل من ربيعة وبنى العنبر وبنى الهجيم من تميم كل هؤلاء مع كنانة يلزمون المثنى الألف فى جميع أحواله رفعاً ونصباً وجراً ، وقد جاء على لغة هؤلاء فى القراءات المشهورة إن هذان لساحران ، وقرأ أبو سعيد الخدرى والجدرى فكان أبواه مؤمنان وحمل على هذه اللغة حديث « لا وتران فى ليلة » وقد اقتصر كتاب الصاحبى وكتاب النوادر وكتاب المغنى على نسبة إلزام المثنى الألف مطلقاً إلى لغة بنى الحارث بن كعب ، وذكر غيرها كنانة وأضاف بعض الكتب قوله : وأهل تلك الناحية » وأغلب هذه القبائل متجاورة وكنانة التى تشترك فى هذا الإجراء هم بنو بكر بن عبد مناة لأنهم هم المجاورون لبنى الحارث بن كعب .

ويلحق بما سبق أن كلا وكلتا فى اللغة المشهورة ترفعان بالألف وتنصبان وتجران بالياء إذا أضيفتا إلى الضمير وتعربان إعراب المقصور بأن تلزما الألف فى جميع الأحوال إذا أضيفتا إلى الاسم الظاهر لكن لغة كنانة — ولا بد أن من شاركوها فى المثنى مثلها — تلزمهما الألف دائماً .

والقرآن الكريم جاءت به كلتا فى حالة رفع بالألف « كلتا الجنتين » وليس فيه كلتا فى حالة نصب أو جر لتبين استعماله وكذلك « كلا » فى القرآن جاءت فى حالة رفع « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما » .

٢ — الأسماء الخمسة أو الستة ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء ، لكن كنانة وخثعم وبنى الحارث بن كعب — ولابد أن من سبق ذكرهم مثلهم — يلزمونها الألف فى الرفع والنصب والجر وقد روى :

إن أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

وفى البيت شاهد على إلزامهم المثنى الألف .

وقد صرح أبو زيد فى كتابه النوادر وأحمد بن فارس فى كتابه الصاحبى وغيرهما أن هذه القبائل تقلب الياء ألفاً إذا جاءت ساكنة بعد فتحه ولو كان ذلك فى الحرف وقد روى :

« طاروا علاهن فطر علاها »

وأصله عليهن وعليها . وروى :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساغاً لناباه الشجاع لصمما

ورويت أبيات كثيرة على لغتهم .

٣ — تقول كنانة فى « نعم » حرف الجواب نعم بكسر العين وقد قرأ ابن وثاب والأعمش والكسائى بكسرها على لغتهم

٤ — أكثر العرب تقول سيناء بالفتح والمد أما كنانة فتقول سيناء بكسر السين والمد أيضاً . وقد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والحسن « طور سيناء » بكسر السين على لغة كنانة . وقرأ الباقون بالفتح .

٥ — تقول كنانة لقيته على غشاش بكسر الغين وفتحها ولقيته غشاشاً بالفتح والكسر بمعنى لقيته على عجلة .

٦ — تقدم أن هذيلا تقول يازع فى وازع ولم ينصوا على أنها تبدل الواو ياء أما بنو ضمرة من كنانة فقد نص بعض اللغويين على أنها تقلب الواو ياء يقولون يازع فى وازع وقد روى لخصيب الضمرى :

لما رأيت بنى عمرو ويازعهم أيقنت أنى لهم فى هذه قود

لكن هذا النص أرى فيه توسع كثير فهل يقولون فى والد ووارث وواهب وواحد ... الخ بالدوياهب ... أو أن نصه استنتاج من لفظة يازع التى نطقها شاعر منهم ؟ أو أن لها نظائر وأمثال أخرى لم يذكروها ؟ على أننا لا ينبغى أن نقيس على هذا الإبدال بل نقتصر فيه على السماع .

عبد الستار أحمد فراج
المحرر بالمجمع اللغوى

ربيع ... وربيع !

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

قال لى صاحبى غداة رآنى   باكياً ، والربيع فوق الروابى
كيف تبكى وفى الوجود ربيع
شارف الكون من وراء السحاب ؟ !
وسرى فيه بهجة ونماء   وشباباً يضم روح الشباب
هو فى الزهر رقة وعبير   وخرير فى الجدول المنساب
وهو فى الأفق بسمة وصفاء   وانطلاق من أسر كل حجاب
وهو فى قلب كل عذراء حُلْمٌ   بحياة فى جنة الأحباب

أنت يا صاح بلبل ، فترنم   فى الروابى ، أو فى رحاب الفضاء
واقطف الزهر ، وانشم العطر ، واسكر
من رحيق الندى ، وخمر الضياء
زهرة فى الربيع — لو كنت تدرى —
هى خير من عالم فى الشتاء
قطرة الماء فى الربيع تراها   بهجة النفس ، وهى قطرة ماء !
لمعة النور فى الربيع لها فى النفس رجْعٌ كأعذب الأصداء !
ساحر ذلك الربيع الفدىّ   مبدع للحياة والأحياء !

أنت فى ريّق الشباب ، فلا تبـ   ـك ، فإن الشباب روح الحياة
وإذا لم يكن من الدمع بُدٌّ   فتنظّرْ عهدَ المنى الضائعات
حين يأتى المشيب وهو خريف   تدرك النفس فيه سر الممات
سوف تبكى عند المشيب كما تجـ   ـهش نفس عميقة الحسرات
أو كروح قد أخطأت عالم النو   ر ، فهامت فى عالم الظلمات
لذة العمر فى الشباب ، فبادر   لذة العمر قبل يوم الفوات !

ليت شعرى : ما سر هذا البكاء   والمغانى نشوى بخمر الغناء ؟
فالربيع الجميل لحن جميل   عزفته ملائك فى السماء
والصباح الوضىء لحن مضىء   تتراءى ظلاله فى السماء !
كل ما فى الحياة يعزف لحناً   من بهاء ورقة وصفاء
كل ما فى الحياة ينشر فى النفـ   ـس أريج المنى ، وعطر الرجاء
أنت تبكى ، وكل شىء يغنى !   ليت شعرى : ما سر هذا البكاء ؟

قلت : يا صاحبى بكيت لأنى   لم أجد فى الحياة أسباب أنسى !
الربيع الذى تراه ، بعيد   عن شعورى وعن ضميرى وحسى
والربيع الذى أريد ، بعيد   عن حياتى كأنه حلم أمسى
أنت لا تنظر الوجود بعينى   لا ... ولا تدرك الحياة بنفسى
رب شمس تشع فى الكون نوراً   حجبتها عنى سحائب يأسى !
وربيع يسقى الرحيق المصفّى   ما سقانى إلا مرارة كأسى !

لا تحدث عن الربيع ، فإنى   قد عرفت الربيع روحاً ومعنى
أنت لا تعرف الربيع إذا كنت   تراه زهراً ونهراً وغصنا
ليس روح الربيع ما تجد النفـ   ـسُ ، ولكنه الذى تتمنى
هو عند العشاق ليلة حب   طار فيها طير الهوى وتغنى
ووراء الظعون الحيارى   فى صحارى الحياة ، هدياً وأمنا
خير ما فى الحياة أن تتمنى   فَسِرُّ القلب دائماً أن يحنّا

إن عنيتَ أن تعيش وحيداً   فى الصحارى، أو فى أعالى الجبال
فهناك الربيع ... تبصره النفـ   ـس إذا حلقت وراء الأعالى
وهناك الربيع ... فى هدأة الليـ   ـل ، وهمس الربا ، وصمت الرمال
وانطلاق الحياة من عالم الحـ   ـس ، إلى عالم الرؤى والخيال
واهتزاز الوجدان إذ يتلقى   من جمال الحياة سرَّ الجمال
خالد ذلك الربيع المرجى   وربيع الأنام ملك الزوال

وإذا شئت أن تعيش مع النا   س ، وتلقى الربيع زهراً وعطرا
فاقطف الزهر ، وانشم العطر منه   واملأ الكأس من ندى الفجر خمرا
غير أنّ الزهر الجميل سيفنى   ثم يغدو فى باطن الأرض سرا !
وتجف الأوراق فى كل غصن   فترى الغصن ناحلاً مصفرا !
هذه سُنّةُ الحياة ، فلا تحـ   ـزن إذا أقبل الربيع ومرّا
كل ما ليس باللباب سيمضى   ثم يأتى ، وهكذا مستمرا

لا تلمنى إذا أضعت ربيعى   فربيعى مكفن بالدموع !
ما غناء الربيع إن لم يثر قلـ   ـبى وروحى ، ولم يهز ضلوعى ؟

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

لطالبات الفلسفة بكلية الآداب وحقوق المرأة المصرية :

... ...

قرأت فى « الرسالة » الغراء كلمتكم التى تدور حول « حقوق المرأة المصرية بين الأنصار والخصوم » ... لقد كانت كلمة قاسية ، ولـكن ماذا يضير ؟ لقد علمتنا القسوة التى يرمينا بها الدهر من حين إلى حين رحابة الصدر ، وهذه ميزة أخرى تفيدنا فى حياتنا السياسية التى هى حياة وكفاح ونضال وصبر على المـكاره !

تقولون عن كلمة الأستاذ زكى عبد القادر إنها كلمة موزونة ، ولست أدرى ماذا يضيركم معشر الرجال أن تروا المرأة وقد أعجبت بمدح أو إطراء ! أتريدون منها أن تخرج عن طبيعتها الوادعة ولو فى أشد الشئون قسوة ومشقة ؟ إن هذا ما يسرى عنها ويجعلها تطمئن إلى مستقبلها فتمشى بخطى وئيدة ، وهو أنها بالرغم من اشتغالها بهذه الأعمال المضنية إلا أنها ما زالت محتفظة بأنوثتها الفياضة . . إن هذا من جانبكم لا يعد حسداً بل هو غبطة !

ثم ذلك السؤال الذى لا تنتظرون الجواب عنه ، وهو أن عدد المثقفات قليل ... مهلا مهلا يا سيدى الأستاذ ! كم كان عدد الرجال المثقفين يوم أن سن قانون الانتخاب عام ١٩٢٤ ؟ ! لقد كنا نود أن يوجه إلينا هذا السؤال بعد مضى ربع قرن آخر من تعديل قانون الانتخاب تعديلا يلائمنا نحن معشر النساء ... إننى لواثقة من أنه لو كان هذا العدد الموجود الآن من المثقفات وهو لا يرضيكم لقلته . أقول لو كان موجوداً يوم أن سن قانون الانتخاب لـكفل للمرأة حقوقها من ربع قرن مضى ! ولـكن فى تلك الأيام لم يكن إقبال الفتيات على كليات الجامعة كمثل إقبالهن اليوم ، مما يبشر بالمضى فى تحقيق هذه الغاية وإخراجها إلى حيز التنفيـذ ... والآن وقد أصبحت الـكليات مفتوحة الأبواب للطالبات ، ويزداد عدد الملتحقات بها والمتخرجات فيها سنة بعد أخرى ، تراهن وقد أسند إليهن ما يسند إلى الرجل من أمور يقمن بها على خير ما يرجى وينتظر ، بعد هذا ما الذى يمنع من إعطاء المرأة حقوقها السياسية ، بل وأقول كرسى الوزارة ؟!

أما قولكم بأن الفتاة المصرية لا تذهب إلى الجامعة طلباً للعلم بل طلباً للزواج فما كنا ننتظر من أستاذنا هذا الـكلام ... لنفرض أنه بطريق المصادفة قد لمستم بعض الأمثلة الشاذة يوم أن كنتم فى الجامعة ، ألا يكون من الظلم أن تخرجوا من هذه

ما غناء الربيع ما دام لم يبـ   ـعث حنينى ولهفتى ونزوعى ؟
كان عندى من الربيع مثـال   فأباد الردى مثـال الربيع !
فطويت الأعراس ... أعراس أيا   مى ، وأطفأت بالدموع شموعى !
إن يكن حل فى الربوع ربيع   فربيعى هناك تحت الربوع !

يا ربيع الحيـــاة إنى غريب   عنك ، فاذهب إلى سواى ودعنى
يا ربيع الحيـاة إن حياتى   لربيع أضـاعه الموت منى !
كان روحاً مرفرفاً فى ضميرى   وشـعورى ، وكان قلباً يغنى
كان وحياً لـكل فن جميـل   ومثالا لـكل روعة حسن
كم سقانى الأفراح فى كأس أيا   مى ، وأصغى إلى غنائى ولحنى
ثم جفت أفراح كأسى لما   غاب عنى ، فصرت أشرب حزنى !

لا تحدث عن الشباب ، فإنى   قد فقدت الشباب قبل المشيب !
أين منى الشباب ، والقلب يحيا   بين جنبى كالأسير الغريب ؟
كان قلبى — إذ كنت أحيا بقلبى —   يتغنى مثـــل الهزار الطروب
كان يبنى بالوهم عشا ، ويمضى   بالأمانى فى كل أفق رحيب !
ماله الآن لا يعيش على الوهـ   ـم ، كما عاش منذ وقت قريب ؟
أين أشواقه ، وخفق جناحيـ   ـه وراء الأفق البعيد الرهيب ؟
ليت شعرى كيف استحال رماداً   بعد أن كان جذوة من لهيب ؟
هذه آية المشيب ، وإن كنـ   ـت أرانى فى عمر غصن رطيب ؟
كيف لا أذرف الدموع وقد حا   ن مشيبى من قبل وقت المغيب ؟
الوداع الوداع أيامَ عمـرى   وسلام على الشباب الحبيب !

(الإسكندرية)   إبراهيم محمد نجا

الأمثلة بقاعدة عامة تطبقونها على الثبات ؟! إن الإنجليز وهم أساتذتنا فى العلم والسياسة قد منحوا المرأة حقوقها السياسية متمثلين بقول شريدان : « النساء يحكمننا فلنجتهد فى جعلهن صالحات » ... ولقد رهنت فى سنين قلائل على أنها جديرة بهذا الحق ، وجديرة بقول لامارتين : « إن كل عمل مجيد وعظيم أساسه المرأة » !

عن طالبات قسم الفلسفة بكلية الآداب

آنسة رسمية على خليل

أشكر للآنسة الفاضلة أدب الخطاب ولطف العبارة ... إنه ليسعدنى حقاً أن يكون من بين فتيات الجامعة فى هذه الأيام من تخاطبنى بهذا الذوق الجميل ، ومن تناقشنى بهذا الخلق الكريم ، ومن ترد على بهذا الأسلوب المهذب .

بعد هذا أقول للآنسة الفاضلة إن ما جاء بكلمتى من عبارات غلفت بالقسوة واتشحت بالمرارة ، كان مرده إلى الواقع الذى تكشف لعينى يوم أن كنت فى الجامعة ، ممثلاً فى جيل من الفتيات قد تكون منه حتى اليوم بقية .. ولكن هذه البقية لا يمكن أن تحول دون وجود المثقفات والمهذبات من أمثال الآنسة ومن تحدثت إلى باسمهن من طالبات قسم الفلسفة بكلية الآداب . هذا أمر يفرض على الحق أن أسجله فى كثير من الغبطة ، ويفرض على الإنصاف أن أخصه بكثير من الإعجاب ... وأكتفى بهذا القدر الذى تنوب فيه الإشارة عن الإبانة ويغنى فيه التلميح عن التصريح ، حتى لا نثير الغبار من جديد حول قضية لا يحسن أن يثار حولها الغبار ... وأعنى بها قضية طالبات العلم وطالبات الزواج ! .

تسألنى الآنسة الفاضلة فى مجال التعرض لعدد المثقفات فى مصر كم كان عدد المثقفين يوم أن سن قانون الانتخاب فى عام ١٩٢٤ . من قال لك يا آنستى إننى أنظر إلى القلة فى عدد المثقفين بمنظار وإلى القلة فى عدد المثقفات بمنظار ؟! إننى ما نظرت فى يوم من الأيام إلى عدد المثقفين فى مصر ممن منحوا حقوقاً سياسية إلا بمنظار قاتم يمتزج فيه الإشفاق بالرثاء ! أقسم لك لو كان الأمر بيدى لما منحت طلاب الحقوق السياسية ما يتطلعون إليه من سلطان إلا بمعيار .. معيار قوامه الثقافة الكاملة فى كل أمر من أمور الحياة ، ولا ضير على الإطلاق من أن نظفر بمائة رجل من هذا الطراز لأنهم لو وضعوا فى الميزان لكانوا خيراً من ألوف !

المثقفون فى مصر قليل يا آنستى والمثقفات أقل ... ومن الخطأ أن نعمم وضعاً من الأوضاع بما فيه من أسباب النقص والقصور لأنه قد أصبح حقيقة واقعة ، كلا ! فما كان النقص فى صورة من صوره ليبيح لنا أن نتخذه مقياساً فى نظرتنا إلى كل قيمة من القيم وكل حق من الحقوق ... إننى أرد بهذه الكلمات على ما ساقته من حجج وما أتيت به من براهين ، ولو شئت لنقلت القضية من ميدان إلى ميدان ولا بأس لدى من هذه النقلة التى تتيح للحديث أن يفيض ولأفق النقاش أن يمتد ، إننا نستطيع أن ندير دفة الجدل إلى ناحية أخرى لا صلة لها بمسألة القلة العددية فى مجال التعليم والتثقيف ... هناك حيث نلتقى فى رحاب قضية أخرى تتصل بوظيفة المرأة الأساسية فى الكون ومكانها الطبيعى فى الحياة .

تطالب المرأة بحقها فى كرسى النيابة وبحقها فى كرسى الوزارة ، وبالمشاركة فى كل أمر من أمور الدولة وكل شأن من شئون الحكم ، وكأننا قد فرغنا من كل ما يواجهنا من صعاب فى إصلاح المجتمع ولم يبق أمامنا ما يتطلب العلاج الحاسم غير هذه المشكلة بالذات ، لا فقر هناك ولا مرض ولا جهل ، ولا ألف مشكلة تتفرع عن هذه المشكلات الثلاث وتتطلب الكثير من الرعاية والاهتمام ! تنسى المرأة المصرية هذا كله وتنسى معه وظيفتها الحيوية وطبيعتها الأنثوية ... تنسى وظيفتها فى كيان الأسرة ، وطبيعتها فى نظام البيت ، ومكانها فى رحاب الأمومة ، ولا تفكر إلا فى أن تكون صاحبة جاه وسلطان !

إننا نريد أن نسأل المرأة المصرية عن غايتها من كرسى النيابة وعن هدفها من كرسى الوزارة ؟ إن الغاية البرأة من الهوى وإن الهدف المنزه عن الغرض هو أن تضم جهودها وعلمها وثقافتها وخبرتها بشئون الحياة فى خدمة المجتمع الذى تعيش فيه ... كل هذا ميسر وكل هذا جميل ، ولكنها تنسى أن البيت سيهمل فى سبيل كل أمل مرجو وكل منصب منشود ، والبيت الذى تشرف عليه الزوجة الصالحة والأم الفاضلة هو صانع الرجال وخالق الأجيال ! ... إن المرأة تستطيع أن تحقق رسالتها التى وهى فى رحاب البيت وفى نطاق الأسرة ؛ تستطيع أن تمد الوطن من طريق الرعاية الكاملة والتربية الناضجة والتوجيه الرشيد بالأبناء النابغين ... ومن طريق هؤلاء الأبناء يتهيأ لها أن تضع يديها على عدد من المناصب بدلا من هذا المنصب الواحد الذى تسعى إليه ،

حين ينوب عنها في خدمة المجتمع أفراد متعددون ، وعشرون يداً تشارك في إقامة البناء خير من يدين !!

في هذا المجال يا آنستي نطق شريدان بكلماته وكذلك لا مرتين ، وحول هذا المعنى الذي قصدت إليه دار أغلب ما قيل في المرأة من كلمات جهر بها رجال الإصلاح ! أما عن عدد النساء في البرلمان البريطاني والكونجرس الأمريكي فإنه لا يتجاوز أصابع اليدين . هذا مع بعد الفارق بيننا وبينهم في ميدان العلم والسياسة والتقاليد والعادات ! إذا لم يقنعك اليوم هذا المنطق يا آنستي ، فأرجو أن يقنعك منطق الحياة في مقبل الأيام !

مقال قيم عن الشيوعية للأستاذ العقاد :

يهودي ، ومتعلم فاشل ، وفتاة عابثة ، وماجن مستهتر ، ومشاغب يبيع الشغب لمن يشتريه ، ومسخ مشوه منبوذ من الحياة ... هذا هو قوام كل مجموعة شيوعية توجد في مصر أو في غيرها فلا تخلو الخلايا الشيوعية من أصناف هذه التشكيلة ، وقد يكون الشيوعي الواحد تشكيلة كاملة من جميع هذه الأصناف !

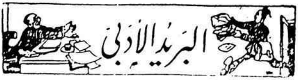
وكل شيء يمكن أن تدعيه هذه المخلوقات فيصدق ، إلا أنهم محبون للخير مخلصون لبني الإنسان غيورون على الإنصاف ؟ ولن يعجب أحد إذا قيل له إن هذه « اللمامة » البشرية تسعى إلى الخراب ، وإنهم يدينون بالشيوعية لأنها ترضي في نفوسهم تلك النزعة إلى التخريب ! أما أن يقال ، ولو من قبيل الخيال إن هذه اللمامة هي التي تنشد الخير وتصلح نظام الاجتماع فذلك من وراء التصديق ، ومن وراء المعقول !

وكلهم معقولون مفهومون إذا كان التخريب هو الغاية التي يسمون إليها ، لأن اليهودي يستفيد من هدم المجتمع أن يستولي على العالم الذي لا أثر فيه للأخلاق ، أو للعقائد، أو للوطنية ، أو للأسرة والمتعلم الفاشل يحقد على الناجحين فلا يبالي أن يشفي غليل الحقد بكل مصيبة تسوي بين الإخفاق والنجاح والفتاة العابثة تهدم المجتمع الذي يسميها على الأقل عابثة ، وتتطلع إلى المجتمع الذي يسميها « بطلة » أو رائدة من رواد التقدم والتحرر من قيود الآداب والأخلاق . والماجن المستهتر بطل كتلك البطلة حين يصبح الأدب وضبط النفس نكسة إلى الوراء وجموداً بماب . والعامي الجاهل تابع لكل ناعق . والمشاغب المتاجر بالشغب صاحب بضاعة يعرضها في كل سوق ، ولا سيما السوق التي تضاعف له الثمن وتنفيه من الكدح الشريف والمسخ المشوه لديه من أسباب التخريب ما لا يحتاج إلى بيان !!

طالعت هذه الكلمات منذ أيام في جريدة « الأساس » للأستاذ العقاد ... وأجل ما فيها هذا التقسيم الرائع لعناصر الشيوعية في مصر وغير مصر ، وهو تقسيم لا يعدو الواقع الذي تراه العين ويتمثله الفكر ويردده اللسان ؛ ولا يعدو الحق حين نرده مع الأستاذ العقاد إلى مصادره الأصيلة من التحليل والتعليل ونقيمه على دعائمه الطبيعية من الدراسة النفسية والخلقية ! ... أنا واثق أن هناك « أحراراً وتقدميين » سيشفقون على من هذه « الرجعية الفكرية » التي أؤيدها بقلبي وقلمي فيما كتب الأستاذ العقاد ، ولكنهم لو علموا مبلغ إيماني بهذه « الرجعية » لأشفقوا على أنفسهم من نعمة التقدم والتحرر التي تدفع بكل مثل أعلى إلى الحضيض احسبهم كما يقول العقاد أنك لن تلقى منهم أحداً يعرف الشيوعية معرفة بحث وتحقيق ، فإن وجدت منهم من قرأ بعض الكتب فيها أو أحاط بما نشره كارل ماركس ولنين وغيرهما من « فلاسفتها » فلن تجد الباعث له على الإيمان بها فكرة صالحة للإقناع ؛ فما من فكرة صالحة للإقناع تقنع أحداً سليم العقل والنفس بتقويض المجتمعات الإنسانية كافة تنفيذاً لحكم قضى به فيلسوف واحد أو مائة فيلسوف ! ... إن العقاد يبلغ الغاية حين يقول : كل فكرة لغط بها كارل ماركس وأتباعه هي في الواقع محل بحث طويل وشك كثير ، كلها جدليات في جدليات ، ولكن الشيوعي « المفطور » يؤمن بهذه الجدليات إيماناً لا يسمح بذرة من الشك ولا بشيء من الحيطة والمراجعة ؛ لأنه لا يؤمن بالشيوعية على قدر ما في عقله من برهان بل على قدر ما في نفسه من الهجوم على الخراب !

أدباؤنا بين الشرق والغرب :

هذا عنوان مقال كتبه الدكتور محمد مندور منذ أسبوعين في جريدة « الأهرام » متحدثاً فيه عن مدى تأثر كتابنا وشعرائنا بالثقافة الغربية في إنتاجهم الأدبي ، ولقد ذهب الدكتور إلى أن روح هذه الثقافة قد ظهرت في بعض شعرائنا ولم تظهر في البعض الآخر ... إن أكبر شاعرين عرفتهما مصر الحديثة في رأيه وهما محمود سامي البارودي وأحمد شوقي قد اتصلا بثقافة الغرب لمعرفتهما باللغة الفرنسية ، ومع ذلك لا نكاد نعثر على أثر للآداب الغربية في شعرهما ، بينما يظهر هذا الأثر في شعر ولي الدين يكن وخليل مطران واسماعيل صبري !



الاتجاهات الحديثة في إعداد المعلمين :

كانت قاعة المحاضرات هذا المساء بمعهد التربية العالي بالإسكندرية لا تكاد على سعتها تسع المستمعين . وما إن جاء موعد المحاضرة حتى وقف صاحب العزة عميد المعهد يقدم السيدة أسماء فهمي بقوله : إنها كانت أول طالبة بالجامعة المصرية وقد سافرت إلى أوربا وتخصصت في التربية . وكانت أول عميدة مصرية لمعهد التربية للمعلمات . ثم وقفت السيدة (أسماء فهمي) وأشارت إلى أنها ستعرض للاتجاهات الحديثة في إعداد المعلمين لا في مصر وحدها بل في أمريكا وانجلترا وفرنسا . فقالت : لم تكن هناك مشكلة الإعداد للمعلمين . فكان كل من أراد أن يتصدى للتعليم يجد أمامه السبيل ميسرة . وفي سنة ١٨٧٢ أنشئت أول مدرسة لهذا الغرض وهي دار العلوم . وفي سنة ١٨٨٠ أنشئت مدرسة المعلمين ؛ حتى إذا كان الربع الأول من القرن التاسع عشر أنشئت أول مدرسة لإعداد المدرسين للمدارس الأولية كانت تدرس فيها التربية بجانب المواد الأخرى .

ثم أشارت إلى الحالة في إنجلترا فقالت : وفي انجلترا حتى سنة ١٨٦١ ألفت لجنة لدراسة حال المعلمين ، وأشارت إلى من كان يتولى التدريس في تلك العهود بقولها : فالخدم والعاملون وأصحاب المطاعم والفقراء والمصابون بالسل ، كل هؤلاء كان يمكنهم التدريس في المراحل الأولى . أما التدريس في الثانوى فكان يستمد من الجامعات . وفي أمريكا قبل منتصف القرن التاسع عشر لم تكن هناك مدارس المعلمين ، حتى إذا ارتفع لسان النقد قائلا : كيف لا نفكر في المعلمين وإذا أردنا إصلاح حذاء فكرنا فيمن يجيدون ذلك ! وسرعان ما اتجهت بفضل هذا النقد إلى طرق إعداد المعلمين . وبعد الحرب العالمية الأولى نشطت الاتجاهات الإنسانية وتجلى ذلك في إعداد المعلمين . ففي مصر اتجهت العناية بمدرسة المعلمين واهتموا بتعديل مناهج المدرسة السنية ، ولم يكتفوا بمدارس المعلمين ، بل قامت معاهد التربية . ثم تحدثت عن إعداد المعلم في أمريكا بقولها إن أهم الهيئات في أمريكا لإعداد المعلمين هي الجامعات ، والكليات ومدارس النورمال ؛ ففي بعض الولايات يبلغ عدد الجامعات ٩٥ جامعة . وبأمريكا ١٧٠٠ معهد لإعداد المعلم وأمريكا مع هذا تشكو قلة المعاهد . وأهم ما يسترعي النظر أن الجامعة هناك تطالب الى من يتقدم إليها للتدريس شهادة بحسن السير والسلوك وشهادة تثبت اهتمامه بالشئون الاجتماعية . وفي أمريكا يجمعون

إن الذي يدهشني في كلام الدكتور مندور هو فهمه الاتصال بثقافة الغرب ممثلا في معرفة اللغة ! متى كان فهم اللغة وإجادتها دليلا على أن صاحبها قد نهل من ثقافة هذه اللغة وعب من آدابها ؟! إنني أعرف أفراداً هنا في مصر يعرفون اللغة الفرنسية كما يعرفها الدكتور مندور ومع ذلك فهم لا يعرفون إذا كان « سارتر » فرنسيا أم أمريكيا ، فيلسوفا يتحدث عن « الوجود والعدم » أم عالما يبحث في « النسبية وتحطيم الذرة » ! . . ثم هل تأثر رجل كإسماعيل صبري بالثقافة الغربية في شعره كما يقول الدكتور مندور ؟ إن ديوان صبري بين يدي وأنا أكتب هذه الكلمة ، وهذا شعره أراجع في قصائده نفسي وأرسل وراء أبياته ذوقي فلا أخرج بشيء على الإطلاق مما انتهى إليه الدكتور مندور ... إن صبري كما يدل عليه شعره لأبعد من ذكرهم الدكتور جميعا من التأثر بروح الثقافة الغربية ، اللهم إلا إذا كان الدكتور يفهم « التأثر » على وجه لا يشاركه فيه أحد من الناس ، كما فهم « الاتصال » على أنه معرفة لغة من اللغات !

سلامة موسى أشهر مني :

بعد أن فرغت من كتابة التعقيبات تلقيت رسالة عاجلة من قارىء شاء أن يغفل ذكر اسمه ، خضوعا لمقتضيات الشجاعة . يكفي أن القارىء الفاضل قد غضب على غضبة مضرية ختمها بهذه الكلمات : « مهما حملت على الأستاذ سلامة موسى فهو أشهر منك في مصر والبلاد العربية وأعرف عند الناطقين بالضاد » !

أنا لا أنكر يا أستاذ أن سلامة موسى أشهر مني ... ولكن لا تنس أيضا أن محمود شكوكو أشهر مني بكثير ! !

أنور المعداوي

بين التعليم المهنى والنظرى . أما فى انجلترا فالدراسة فى الجامعة نظرية ؛ وبعد الجامعة يتلقى الطالب التعليم المهنى . وفى أمريكا لا يفرقون فى الأعداد بين المدرس الأولى والثانوى فشهادتهما واحدة ، وإن كان بينهما اختلاف فى بعض المواد التى يقومان بتدريسها . وتبدى أمريكا اهتمامها الشديد بدراسة البيئة ، فكل طالب يكلف ببحث عن البيئة التى يعيش فيها ، ثم تقرأ هذه البحوث فى اجتماعات خاصة . ومن الاتجاهات الحديثة فى أمريكا عمل دراسات صيفية يختلف إليها المدرسون فى الصيف فتكون الجامعات فى الصيف أشبه بخلايا . وهناك عيادات لعلاج عيوب القراءة أو عدم القدرة على النطق . وفى أمريكا خصصت الجامعات مراكز للإيضاح ، فيحصل المدرس على ما يريد من أشرطة سينمائية أو ملابس أو غيرها بواسطة الإخصائيين . ثم أشارت إلى أن الجامعات فى أمريكا يقصدها الشعب من جميع الطوائف من أطباء وتجار وأصحاب مهن ؛ فإذا ما اجتمع المدرس بهؤلاء كان عاملا مهماً فى توسيع دائرة فكره . ومن الاتجاهات الحديثة أيضاً العناية بسيكولوجية الطفل المباشر . ولا يكتفى بالمحاضرات فى علم النفس ، بل يطلب إلى الطالب أن يلازم بعض التلاميذ فى البيت والمدرسة وفى ألعابهم وفى غدوهم ورواحهم ، ويدرسهم على ضوء علم النفس دراسة موضوعية غير مفسرة ، ثم تقدم هذه الدراسة إلى الجامعة .

ثم أشارت إلى الحالة فى مصر بقولها : إلى أى حد يتمشى فى مصر هذا النظام ؟ لقد تعددت فيها المعاهد دون ترابط : فهذه معاهد التربية ومدارس المعلمين والمعلمات الأولية والراقية . وإلى جانب ذلك يوجد عدد آخر ، فلا شك أنها تشكيلة كبيرة ، وهذا ينافى مبدأ الديمقراطية . ولا يزال الكثير منا يدين بالتفرقة بين مدرس المدارس الأولية والابتدائية والثانوية ، ويذهب فى زعمه إلى أنه لا حاجة بنا إلى إمداد مدة دراسة المعلم الأولى ، فعمله لا يحتاج إلى كثرة المعلومات .

وهذا خطأ من الوجهة السيكولوجية ، فمهمة المدرس خطيرة فى كل مرحلة من المراحل الأولية أو الابتدائية أو الثانوية ، ويجب أن يكون حاصلا على أكبر قدر ممكن من الثقافة . وقد يكون لنا بعض العذر فى قبولنا لهذا القدر الضئيل من الثقافة بالنسبة للمدرس الأولى لو كان الغرض هو إيصال المعلومات ، ولكنه مدرس ومرب ومنشئ جيل . وختمت السيدة الفضلى المحاضرة بالإشارة إلى حاجتنا إلى تقوية الوعى القوى فى معاهد المعلمين ، ثم قالت : وعلى المعلم تقع أخطر المسائل ، وفى عنقه أعز الأمانات ، فإذا نجحنا فى إعداد المدرس الصالح فلابد أن ننتصر على كل مشاكلنا التى تعترضنا فى التربية والأخلاق

محمد عبد الحليم أبو زيد

أنباء الجليس :

عهد المجمع اللغوى الملكى إلى لجنة من الأدباء فى تحقيق هذا الكتاب للقيام بنشره ، والمنتظر من هذه اللجنة أن لا تغفل التعليق عليه بما آخذ العلماء عليه . وإنى ناقل كلمة من (سيرة الإمام أبى يوسف للعلامة الكوثرى) كمثال لعثرات المعافى النهروانى مؤلف الجليس الصالح : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرىء ، حدثنا محمد بن خزيمة بنيسابور عن المزنى عن الشافعى قال : مضى أبو يوسف القاضى ليسمع المغازى من ابن إسحاق أو من غيره ، فترك مجلس أبى حنيفة أياماً ، فلما أتاه قال له أبو حنيفة : يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ قال له أبو يوسف : إنك إمام ، وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ : أيما كانت أولا ، بدر أو أحد ؟ فانك لا تدرى أيهما كان قبل ، فأمسك عنه . يقول الأستاذ الكوثرى : هذا اختلاق صرف تكذبه شواهد الحال ، لأن أبا حنيفة هو الذى يحدث أصحابه فى مسانيده عن تفضيل عمر — رضوان الله عليه — أصحاب بدر فيما فرض لهم فى الديوان على باقى أصحاب الغزوات المتأخرة . وهو الذى يتلو فى ختماته ليلا ونهاراً قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) المعروف نزوله فى أحد ...

وصاحب الجليس الصالح يحكى أن المأمون حمل الشافعى على شرب عشرين رطلا من النبيذ ، ففعل ولم يتغير عقله ، كما فى لسان الميزان . يقول الأستاذ الكوثرى : إن الإمام الشافعى لم يلق المأمون فى عهد خلافته ألبتة . فهذا كذب بحت كتلك الأقصوصة . والمعافى النهروانى ليس من رجال التحرى فى النقل ، وكتابه يجمع بين الجد والهزل : وفى سند الحكاية الأولى محمد ابن الحسن بن زياد ، وهو النقاش المشهور بالكذب . قال الخطيب البغدادى : فى أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة . وقال الذهبى إنه كذاب . وقال البرقانى : كل حديث النقاش منكر : وقال طلحة بن محمد الشاهد : كان النقاش يكذب فى الحديث ، والغالب عليه القصص . وترجمته فى تاريخ بغداد للخطيب ولسان الميزان وميزان الاعتدال وغيرها .

عبد الله معروف



بنت عمي راقصة

للأستاذ عباس خضر

حينما أقبلت على صديقي الأديب المعروف الأستاذ محمد مختار البرجي، وهو جالس في إحدى أمسيات الصيف الماضي على طوار (بار اللواء) — ألفيته متثاقلا يضع مرفقه على النضدة ويسند رأسه إلى راحته، فأخذت مجلسي على الكرسي المقابل له في الناحية الثانية من النضدة، مكتفياً بتحية خفيفة دون أن أمد يدي لمصافحته، ورد هو التحية رداً خفيفاً أيضاً، ثم أردف يقول وهو يميل برأسه على يديه المشتبكتين فوق النضدة:

— سأنعس خمس دقائق.

— فلتكن عشراً.

وأرسلت بصري إلى الشارع وإلى العابرين به، ولكن فكري كان مشغولاً بأمر الصديق، أهو متعب أم مهموم؟ ولم يدع هو هذا التفكير يشغلني طويلاً ويقلق بالي، فقد رفع رأسه وأشعل لفافته؛ وابتدأ الحديث بيننا تافهاً، وقد تجنبت أن أسأله عما يهمه، ولكنه نظر إلي وقال:

سأقص عليك قصة ... كنت أصطاف منذ سنين في رأس البر، فقام بنفسي في إحدى الليالي أن أجول بمدينة دمياط، وطاب لي الجلوس على قهوة بها. وبينما أنا جالس اقترب مني شاب كان يتأملني من بعد وأنا أتغافل عنه وقال لي:

— حضرتك الأستاذ محمد مختار البرجي ..؟

— أتعرفني؟

— أنت خالي ...

— خالك؟! ومن أنت؟

— أتعرف أن لك عماً اسمه علي مختار؟

— نعم أسمع عنه، لقد توفي أبي وأنا صغير، ونشأت مع أمي في القاهرة، وكانت تذكر لي عمي هذا وعماً آخر وتقول إنهما في دمياط، ولكن من أنت؟ وما مكانك من عمي علي مختار؟ قل لي أولاً كيف عرفتني!

— كيف لا أعرفك وصورك تملأ بيتنا.. نفصلها من الصحف والمجلات ونزين بها الجدران، واسمك يملأ أسماعنا ويبعث النشوة في نفوسنا... هلم يا خالي... كم تسر أمي برؤيتك! أمي بنت عمك علي مختار...

طرق الشاب باب منزلهم، وقد طلب إلي أن أتأخر قليلاً حتى أكون بحيث لا يراني من يفتح الباب، وفتحت له أمه، فبادرها بأنه سيفاجئها الآن بهدية نفيسة هي أعز أمانيها، ثم أردف: سترين الآن يا أماه ابن عمك الأستاذ محمد مختار البرجي.

وتقدمت، وكان لقاء حاراً أترك وصفه لأنك تدركه من طبيعة الموقف. واستمر الصديق يقول: لا أطيل عليك الكلام. عرفت مما دار بيننا من حديث أن الشاب يحل محل أبيه المتوفى في تجارته الموفقة، وأن عمي علي البرجي توفي منذ زمن غير قليل، وكذلك عمي الثاني وله أولاد يعيشون أيضاً في دمياط، كما عرفت من بنت عمي هذه أن لها شقيقتين متزوجتين.

وتبادلنا الزيارات العائلية، وتوطدت العلاقة، وتم التعارف بين هؤلاء الأقارب الأعزاء وبين أسرتي وأولادي في القاهرة، وساد هذه العلاقة مودة وسرور كان لها أثر كبير في تجديد نفوسنا جميعاً. ثم مضت الأيام، وصرنا نشعر بالقرابة، وغفرنا لصروف الزمن ما قضت به من التشتت فيما مضى.

واحتسى الأستاذ البرجي قهوته، وجذب أنفاساً من لفافة أشعلها، واستأنف يقول: وجاء إلي مرزوق افندي، وهو ابن عمي الثاني، وقد اعتاد زيارتي عندما يأتي إلى القاهرة، ولكنه في هذه المرة جاء لأمر ... قال:

— أعد نفسك لما سألقي عليك من نبأ.

— قل ...

— إنه نبأ مؤلم! وأحب أن تكون شجاعاً في تلقيه.

— هاته، أسرع، فقد يكون كلامك أشد منه.

— ما أحسبك لقيت في حياتك أشد مما سأفضي إليك به،

ولا مفر لى من ذلك ، لأن هذا الأمر يهمك كما يهمنا .

— لا تخش على شيئاً فأنا أليف شدائد .

— أتعلم أن لك ابنة عم اسمها سنية وأنها ... راقصة !!

— إيه ...

— ألم تقل إنك حليف شدائد ؟ لا تجزع يا أخى لأنى أريد أن تعاوننى فى ثبات على ما جد فى أمرها . وأجمل لك قصتها فى أن أمها كانت قد تزوجت بعد وفاة أبيها ؛ وكانت أخواتها الثلاث قد كبرن وتزوجن ، أما سنية فقد ضاق بها زوج أمها ، وضاقت هى بما لقيت من قسوة وخشونة ، فتسللت إلى القاهرة ، ثم احترفت الرقص ، وهى الآن تعمل فى إحدى (الصالات) وكانت قد تزوجت بشاب من أهل الفن توثقت بينها وبينه أسباب المودة فى أثناء عملهما معاً فى (الصالة) وعاشرها سبع سنين ، ثم طلقها أخيراً .

— إيه .

— وقد ذهبت إليها اليوم وأردت أن أنقذها من هذه البيئة فعرضت عليها الزواج ، فأبت ، وسخرت منى . وقد اعتزمت أمراً أريد أن تعاوننى عليه ... نقتلها فنغسل عارنا بدمها .

— هون عليك يا أخى ، فالذى بنفسك سيذهب بعد حين ، وان تقتلها ، وأنا لا أستطيع قتل دجاجة . إذهب إلى حالك ودع الأمور تجرى فى مجاريها .

ولم أرد أن أخاشن ابن عمى وهو فى زيارتى ، فتلطفت معه حتى ودعته وانصرف بعد الغداء ، وقد انفثأ غضبه ، وعاد أدراجه إلى بلده كأن لم يكن شىء . وكنت حرياً أن أسأله عما جد فى شأن ابنة عمنا وهى هى كما يعلم منذ أمد بعيد ، وجعلت أفكر فى الأمر وأنا لا أستطيع أن أتصور كيف نقتل فتاة دفعها التيار إلى هذه الناحية من الحياة ... وهل تقتل الفتاة لأنها راقصة ؟! وكلما تذكرت ما كان يريدنى عليه من المعاونة على قتلها عرتنى رعدة اشمئزاز واستنكار لفكرة القتل البشعة . ويختلط هذا كله بألم يحز فيها حينما أتصور حياة الراقصات التى أعرفها ، وأن بنت عمى واحدة منهن ... ودار رأسى من التفكير والألم .

وأخذت طريقى إلى نادى الصحفيين . وما أخذت مجلسى هناك حتى جاء الخادم يدعونى إلى التليفون ، فأمسكت السماعة وأصغيت ، فسمعت صوتاً ناعماً يقول :

— أنا قريبة لك .

— أعرفك ... سنية بنت عمى .

— إذن حضر إليك اليوم مرزوق أفندى . ولكن كيف تقول إنى بنت عمك ؟ ألا تنكرنى ؟!

— إنك بنت عمى من غير شك . أريد أن أراك .

— وتريد أيضاً أن ترانى ؟ أجاد أنت فى كلامك ؟

— دعى هذا ، ولنتم الحديث حين تحضرين .

وأقبلت سنية بعد قيل ، ومن المتبع فى النادى أن يكتب الزائر اسمه فى دفتر الزائرين ، فأمسكت أنا القلم وكتبت اسمها هكذا : سنية على البرجى .

وانتبذنا ركناً قصياً بالنادى ، وهى تقول لى :

— إن اسمى سنية على فقط . فلم أرد أن ألوث اسم « البرجى » الذى عرفت أنت به .

— ليكن اسمك من الآن سنية على البرجى !

— لا أكاد أصدق ما أرى ، فما كنت أطمع أن أنال اعترافك بى فيما بيننا فضلاً عن مجاهرتك بقرابتى !

قالت ذلك وطأطأت تفتح حقيبة يدها وتخرج منديلاً تمسح به دموعها ، ثم تابعت :

أما مرزوق افندى فسامحه الله .. لقد كان منزلى مثواه كلما جاء إلى القاهرة ، ولم أكن أضن عليه بما يطلب حين تقصر يده ... فما باله اليوم يستشمر العار فى مسلكى ؟!

— قال لى إنه عرض عليك الزواج .

— نعم ورفضت . ومن أجل هذا تعرضت لعاصفته ... وأنا ما زلت — ولا أخفى عنك — أحب زوجى السابق ، وقد تعودت لوناً من الحياة معه ، ولم يذهب من نفسى الأمل فى أن يعود إلينا حسن التفاهم ويرجع الماء إلى مجراه . ثم أنا إن تزوجت مرزوق أفندى فسيكون خيال ماضى منغصاً لحياتنا ، وهناك الأهل الذين لفظونى ثم أنكرونى .. كيف يطيب لى العيش فى وسطهم ؟ ثم نظرت إلىّ نظرة فيها مزيج من الحنان والشكر ، وقالت :

وأنت يا ابن عمى ... كم أنا سعيدة بهذه الكلمة . ابن عمى كلمة بحثت عنها كثيراً فلم أجدها إلا حينما رأيتك تكتب اسمى فى الدفتر سنية على البرجى !

وأجهشت ، فانخرطت فى بكاء ... ثم قالت :

وأنت يا ابن عمى جبرت نفسى ، جبر الله نفسك !

وانصرفت سنية ، وقد وعدتها بالزيارة فى منزلها . وارتاحت نفسى لحسن استقبالى لها واغتباطها بذلك . ولكن كان فى نفسى شىء يدفعنى إلى بحث ما يحيط بها ... نعم لقد مكثت سبع سنين متزوجة ، وقد عرضت عليها فى النادى أن تكون على حريتها فتطلب ما تشاء ففى المقصف كل شىء ... ولكنها أبت وأكدت أنها لا تشرب الخمر وأنها ليست كما قد أظن ... الخ . ولكنى فى الوقت نفسه أعرف (الصالات) وما فيها من (فتح) وغيره ... لذلك جعلت أرقب أحوالها فى زياراتى لها ؛ فلم أجد ما يريب .

وكنت مرة فى نادى نقابة المثلين مع صديقى الأستاذ أحمد كامل أحد نجوم المسرح والسينما وعضو مجلس إدارة النقابة ؛ وقصصت عليه قصة بنت عمى ؛ وتعمدت أن أذكر اسمها — فى عرض كلام — قبل أن أفضى إليه بقرابتها وقصتها ؛ وهو صاحب مغامرات مع كثيرات من هؤلاء الراقصات ومثيلاتهن . فلما وصلت فى القصة إلى التلويح بشىء من التشكك ، قال لى : حسبك لأن تطمئن أن تعلم أنى لا أعرفها !

وصحبت سنية بعد ذلك إلى نادى نقابة المثلين ؛ وعرفت أعضاء النادى بها . ثم طلبت أن تشترك فى النقابة ؛ فقال لى الأستاذ أحمد كامل : إننا لا نقبل فى النقابة راقصات (الصالات) ولكن من أجلك سأعمل على قبولها .

وقيد اسم سنية فى نقابة المثلين . واقترن ذلك بالاتصال بأحد منتجى الأفلام ؛ وتم الاتفاق على أن تظهر سنية فى فلم جديد ، وهى الآن تعمل به وقد تركت العمل فى (الصالة) .

واغتبطت اغتباطاً كبيراً بهذا التوفيق فى نقل ابنة عمى من بيئة (الصالات) إلى مستوى المثلين والمثلات ، وأنت تعلم أن هذه الطائفة من أهل الفن قد أصبحت لها اعتبارها ومكانتها فى مجتمعنا الحديث . وقد صرت أنظر إلى سنية نظرة المطمئن الذى لا يجد غضاضة فى الظهور معها فى المجتمعات ، ولا أخفى أنى كنت قبل ذلك أواجه الأمر الواقع ، وكنت أحدث نفسى بأنه يجب على أن أقول للناس : هذه ابنة عمى ! فلا أدعهم يتسارون بذلك ... وكان سرورها بى وبمسلكى هذا يعوض فى نفسى بل يفوق كثيراً ما أشعر به من خفى الشعور ، بل يكاد يعنمه . أما بعد أن صارت ممثلة وعضواً فى نقابة المثلين فقد طابت نفسى وراق بالى

وسكت الأستاذ البرجى ، وهو ينزع الغلاف الشفاف عن علبة اللفائف الجديدة ، ويطويه بيده ويرمى به ، ثم يشعل لفافة ويأخذ منها نفسا ؛ ويسند رأسه المثقل إلى راحته وسحابة الدخان تتراقص أمام سحابة الهم على وجهه .

قلت له : إن ما فعلت شىء عظيم ، وهو يدعو إلى الارتياح ، فما لك مهموماً ؟

فنظرت إلى كمن يطلب الصبر حتى آخر القصة ، وقال :

كنا أمس فى النادى ، أنا وسنية وأحد الوزراء السابقين ، وهو صديق قديم معروف بميله إلى الأدباء والفنانين . جلسنا نحن الثلاثة معاً ، فطاب مجلسنا ، وتبسط معنا صديقنا الوزير السابق فأكثرنا من الطرف والدعابات ، وأشرقت البسمات على وجوهنا ، حتى جذب ذلك إلينا الأنظار . ثم إنفض المجلس ، وتفرقنا فى أرجاء النادى ، وإذا أحدهم يدنو منى قائلا فى شبه همس :

لا تسرف فى الظهور مع بنت عمك فنحن فى مصر ...

ولست أدرى أحاسد هو أم ناصح ، وعلى أى حال قد قال ما قال ...

عباس خضر

مطبعة الرسالة